معهد الحياة القرارة (غرداية) - الجزائر
قسم التخصُّص شريعة: السنة الثالثة

فضل الصحابة والرضا عنهم

دروس للإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيُّوض

(1316 - 1401هـ / 1899 - 1981 م)

إعداد وتحقيق

بهّور بن يوسف بن بهّور حميد أوجانة

إشراف الأستاذ

محمَّد بن موسى بن محمَّد باباعمِّي

القرارة: محرَّم 1417 هـ / جوان 1996 م

بسم الله الرحمن الرحيم

معهد الحياة القرارة (غرداية) - الجزائر
قسم التخصص شريعة: السنة الثالثة

فضل الصحابة والرضا عنهم

مدروس للإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيُّوض

(1316 - 1401هـ / 1899 - 1981 م)

إعداد وتحقيق

بهون بن يوسف بن بهون حميد أوجانة

إشراف الأستاذ

محمَّد بن موسى بن محمَّد باباعمِّي

القرارة: محرَّم 1417 هـ / جوان 1996 م

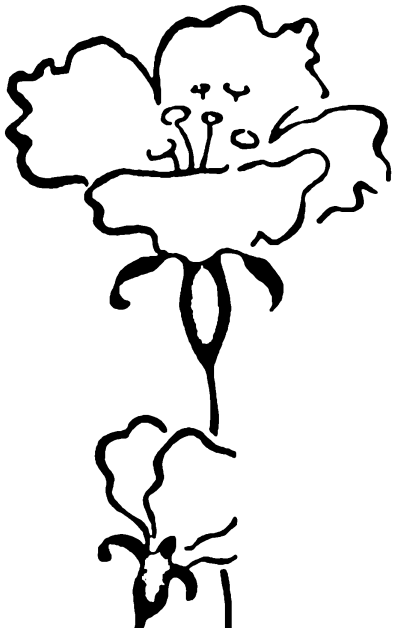

الإهداء

إلى والدتي العزيزة التي سخرت روحها لأجلي...

وإلى والدي الكريم الذي كابد مشاق الحياة لرعايتي وخدمتي..

وإلى روح الجاهد الفقيد الدكتور عمرو خليفة النامي...

وإلى كل مشايخي وأساتذتي...

وإلى كل أصدقائي المخلصين...

أهدي هذا الجهد المتواضع.

بهوش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصّلاة والسلام على سيد المرسلين و على صحابته أجمعين.

و بعد :

فإن من نعم الله على المسلمين أن ﴿ **بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنَ انْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمُ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ** ﴾ (آل عمران:164) .

فكان مبعث محمد ﷺ ميلاد فجر جديد على البشرية أخرجها من ظلمات الضلال و الجاهلية إلى نور الهداية و التوحد.

و قد نصح الرسول ﷺ لأمته و بلغ رسالة ربه و جاهد في الله حق جهادة حتى أتاه اليقين . و قال في حجة الوداع ((**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**)) . فوعى صحابته الكرام هذا التكليف و قاموا بأمانة التبليغ حق القيام ، فانتشروا في الأرض دعاة مبشرين بهذا الدين وكانت حياتهم كلها لله وفاء و للسول فداء ، نصروه في الحياة و نفذوا تعاليمه بعد لحاقه بالرفيق الأعلى.

ومن نافلة القول الإشادة بما بذلوه من نفس و نفيس لإعلاء كلمة الله ونشر راية الحق في العالمين حتى استحقوا ثناء الله و رضوانه

في كتابه المبين .لسبقهم إلى الإيمان و الجهاد في سبيل ا لله .

﴿ وَ السَابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَ الأَنْصَارِ وَالذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ ا للهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ (التوبة : 100) .

كما أثنى الحق تباركه و تعالى على أهل الحديبية ، و أكد رضاه عنهم . ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ا للهُ عَنِ المُومِنِينَ إِذ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح : 18) . واشتهروا بأهل بيعة الرضوان .

و لإن شملتهم سنة ا لله في الأحياء فرحلوا إلى دار البقاء ، فقد أورثوا ذكرًا عاطرًا و تريخًا ناصعًا ، و غدت سيرتهم نهجًا يقتفيه من رام السمو إلى ذراهم السامقة ، و الفيء إلى ظلال دوحتهم الباسقة .

و لكن لم يسلم هذا التاريخ الناصع من دخيل و وضع من بعض الناقلين ، فتلقف رواة الأخبار ما وقع بين الصحابة من فتن قدرها ا لله في الأزل ، و جعلوها أنس أسمارهم ، و سببًا للطعن في أقدارهم .

وزاد الطين بلة ما أضافه القصاص عن جهل أو عمد إلى تلك الأخبار من تهويل و تخريق لا يستند إلى توثيق و لا تحقيق .

و تعصب الناس لتلك الروايات بما فيها من غث و سمين فغدت قنابل موقوتة لتفجير وحدة المسلمين . و لا تزال آثار الفتنة

الكبرى تلقي بدخانها الكثيف على علاقات المسلمين إلى يومنا هذا . ناسين الأصول الـتي تجمعهـم و الحقـائق القرءانيـة الـتي حـددت طبيعـة علاقة المسلمين بصحابـة رسـول ا لله ، السـابقين إلى الإيمـان و النصـرة الحائزين على فضل الجهاد و الهجرة .

و في هذا البحـث المستـنير بيـان شـاف ، و توضيـح للموقـف السليم و الصائب من صحابـة رسـول ا لله الكـرام . و تجليـة لأسـباب اختلاف المسلمين في هذه القضية ، و ما يجب على المنصف أن يعتقـده في الصحابـة ، اتباعًـا لكتـاب ا لله الـذي شـرفهم ، و جعلهـم سـابقين فكانوا قدوة للاحقين إلى يوم الدين .

و إنه لبلاغ مبـين مـن دروس الإمـام الشـيخ بيـوض رحمـه ا لله صاغه قلم الأستاذ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج ، و قام بتحقيقـــــه و تخريجه الباحث بهون بن يوسف حميد أوجانه ، ضمن بحوث التخرج لقسم التخصص في الشريعة بمعهد الحياة .

و قد حدد الشيخ الموقف السـليم مـن الفـتن الـتي حدثـت بـين الصحابة بناءً على توجيه القرآن بأن ا لله لم يكلفنا أن نحكم بينهم .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ و الأرضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (الزمر :46) .

و لسنا كذلك مسؤولين عما شجر بينهم ، بل يغنينا قول الحق سبحانه ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة : 134) .

و كم هو رائع قول الشيخ : ((فلن يستطيع اليوم أحد أن يقول : إن الواجب على المسلمين أن يبحثوا في تلك الفتن ، حتى يعلموا المحق من المبطل ، و الظالم من المظلوم)) .

و يرشد الشيخ رحمه الله إلى مواقف الحكماء في هذا المقام كقول العوام بن الحوشب :

" أدركت صدر هذه الأمة يقولون : أذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ حتى تتألف القلوب عليهم ، و لا تذكروا ما شجر بينهم فتجسروا الناس عليهم " .

تلك كانت غاية الشيخ بيوض من هذه الدروس ، مستهديًا بتعاليم الكتاب و السنة، مبتغيًا رضوان الله و الجنة . و لا غرو فقد كان إمامًا و رائدًا أمينًا ، و الرائد لا يكذب أهله ،و الأمين لا يدخر وسعًا في النصح و التوجيه و الإرشاد .

و هو الذي أنشأ معهد الحياة سنة 1925 م ، و لا يزال عطاؤه يمتد على الأمة سخيًا خالصًا سائغًا للواردين . فحق لمعهد الحياة أن

يحوز فضل تخريج أمثال هؤلاء النجباء ، ممن يواصل مسيرة الشيخ وجهاده لإصلاح النفوس و بناء الأجيال على هدي القرآن . فكان بحق شجرةً ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (إبراهيم : 25/24) .

د. مصطفى صالح باجو

قسنطينة 12 ذو القعدة

1420 هـ. / 18 فبراير 2000 .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله خالق السموات والارض، وخالق البشر من ماء وطين، والشكر لله جاعله نسباً وصهراً، ومبتليهم قائلا:

﴿ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة، وإلينا ترجعون﴾.

وسبحان مستخلف العباد في الارض لينظر كيف يعملون:

﴿إنّ ربك شديد العقاب، وإنّه لغفور رحيم﴾.

ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، ﴿أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ولئلاّ يكون للناس عليه حجّة بعد نبيئه إلى يوم الحساب ونشر الكتاب.

ونشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله، قائد الأمّة ومخرجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم والهدى والإيمان، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين، السائرين على نهجه، والمقتدين بهديه، القائل فيهم: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

وبعد، فمما لا شكَّ فيه ولا ريب أنَّ كثيرا من العلماء والباحثين الذين ألَّفوا في تاريخ الصحابة والخلفاء، قد أطالوا وفصّلوا وأطنبوا، ولم يتركوا شاردة ولا واردة، خاصة في الفتن الواقعة بينهم، فمنهم من دخل في هذا عالما ومدركا مدى صعوبة المسلك وعظم المسؤولية متتبعا في ذلك كتاب الله، ومهتديا بسنة رسوله، فربما خرج سالما من فلتات الألسن وزلاَّت الأقلام؛ ومنهم من خاض في الموضوع بأحكام مسبقة دون تدبّر وتمحيص، غير محتمل للعواقب، ولا مدرك للنتائج، فضلَّ عن السبيل وأضلَّ عنه.

اختيار موضوع التحقيق

نظرا إلى مجهودات معهد الحياة في رفع المستوى العلمي لطلبته ونظرا لدخول أستاذ من الأساتذة المجدّين في ميدان البحث العلمي والتحقيق إلى المعهد، آخذا بيد الطلبة إلى الجدّ والعمل، ارتأيت أن أمدَّ يدي، محاولة منّي في رفع مستوى البحث العلمي؛ فخُيِّرتُ بين البحث والتحقيق، واخترت التحقيق لجدَّته من جهة. واستجابة لنداء الأستاذ المشرف من جهة أخرى، مستغيثا بني قومه إلى من ينقذ آلاف المخطوطات المكدَّسة والمهدَّدة بالضياع في ربوع وادي ميزاب، مبينا مدى أهميتها، وكثرتها وتنوعها.

فاستجابة منّي للواجب المقدَّس الذي ينتظرني وينتظر أمثالي من الطلبة، اخترت موضوعاً جديرا بالتحقيق، وهو عبارة عن دروس في التفسير للإمام الرائد الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، في موضوع الصحابة وفضلهم وواجب المسلمين تجاههم.

• دوافع البحث

من دوافع البحث، إذن ما يلي:

1. الإسهام في إخراج التراث الإسلامي الإباضي إلى الحياة بعد أن كان مدفوناً لسنوات عديدة.

2. تبليغ رسالة الشيخ إلى الناس، وتقدير الجهد الذي بذله في سبيل الصلاح والإصلاح.

3. الاختلاف الذي عاينته خلال مطالعاتي لكتب التاريخ في الرضا عن بعض الصحابة، وأحيانا وسط المذهب الواحد.

4. الرد على الاتهامات التي يتهم بها الإباضيَّة في أنَّهم لا يرضون عن بعض الصحابة، وما يترتَّب عليها من آثارسلبية في وحدة المسلمين.

5. لم يخرج إلى حدّ الآن على ما أعلم مؤلّف خاص ومركّز في هذا الموضع في التراث الإباضي،إذ نجده مشتتا في المصادر كخلاصات وعناوين.

وصف الدرس

هذه الدروس ألقاهـا الشيخ بيوض في المسجد الكبير بالقرارة حوالي سنة 1975م، في ثلاث حلقات، تسع ثلاث أشرطة ذات التسعين دقيقة (90) للواحد، وتشغر مجموع الدروس أربع ساعات ونصف.

والحمد لله أني وجدتها منسوخة نسخا كاملا في أوراق من إنجاز الأستاذ الفاضل الشيخ بلحاج عيسى بن محمَّد بن بابه، ضمن نسخه لأشرطة الشيخ.

طريقة العمل

1. بدأت أوَّلاً بسرد النصّ وقراءته قراءة سريعة، ثمَّ قرأته ثانية مع السماع للأشرطة، لتثبيت المعلومات. فوجدت أنَّ الناسخ يتتبّع طريقة منهجية مضبوطة، تتمثَّل في ربط موضوعات الدرس بعضها ببعض، إذ كثيرا ما يسترسل الشيخ، ثمَّ يعود إلى نقطة فيدرجها في غير سياقها العام،أو يتذكر نقطة نسيها فيلحقها متى تذكّرها، فما كان من الناسخ إلاَّ أن رتَّب الدروس ترتيبا يوافق المنهج العلمي للنصوص المكتوبة، بعد أن كان يلائم المسموع والمقروء.

وقد ترجم ما جاء في الدروس بالميزابية أو الدارجة إلى اللغة العربيَّة الفصحى، مع تنقيح الأسلوب قدر المستطاع.

2. **وعملي:** يتثمل في مراجعة الآيات وتصحيح ما قد يقع فيه من

سهو، ثمَّ تخريجها في الهامش على النحو التالي: سورة الحشر: الآية 10.

3. تخريج الأحاديث النبويَّة الشريفة، بتحديد ألفاظها، لأنَّ أغلب ما رواه الشيخ من الأحاديث كان بالمعنى، مع إيعازها إلى مصادرها الموثوقة، وقد اعتمدت في التخريج على:

الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، ثم على صحيح البخاري وصحيح مسلم، فإن لم أجد الحديث رجعت إلى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف، كما كان لي الحظ في استعمال الكمبيوتر في تخريج بعض الأحاديث من خلال برنامج موسوعة الحديث النبوي (48000) حديث.

ثمَّ أرجع إلى ما أحال إليه المعجم أو الموسوعة من الكتب التسعة مثل:مسند الإمام أحمد أو صحيح الترمذي، غير أنَّ الدارمي أعياني أمره فلم أجد نسخة في المكتبات التي بحثت فيها.

وإن لم أجد الحديث في كلّ هذه المصادر استعنت بمجمع الزوائد للهيثمي.

الصعوبات

في الحقيقة لم ألق صعوبات تعيقني كليا عن العمل، إلاَّ بعضا مِمَّا لا مفرّ منه في بدايات البحث العلمي، مثل:

1. الشروع المتأخّر. إذ كان ذلك في أواخر ديسمبر 1995م
2. انشغالي بدروس الفصل، وضيق الوقت اليومي الممنوح للعمل.

3. تعارض بعض أوقات المكتبة مع أوقات الدروس، وإغلاق أبوابها في العطل.

شكر وامتنان

أحمد الله تعالى على فضله في أن حقّق أمنيتي المنشودة، التي طالما حلمت بها، وكثيرا ما كنت أستصعب البحث العلمي وأراه في عداد المستحيل.

1. وأتوجّه **أوّلا** بالشكر الجزيل إلى معهدي العزيز: معهد الحياة الذي لم يدّخر أي وسيلة في رفع شأن الدين والعلم.

2. وأكنّ **ثانيا** الفضل والاحترام والتقدير لأستاذي الفاضل ومشرفي المخلص: الأستاذ محمَّد بن موسى باباعمي، الذي لم يألُ نصحا في سبيل إرساء قواعد البحث العلمي في معهدنا المزدهر. وهدفه في ذلك تكوين طبقة من الباحثين والمحقّقين، يخدمون الدين والوطن.

3. كما أشكر كلّ مشايخي وأساتذتي الفضلاء الذين ساعدوني في إنجاز هذا العمل، من قريب أو بعيد، خاصة أستاذي وشيخي الكريم: الشيخ بلحاج محمَّد بن بابه (الشيخ ابن الشيخ) الذي فتح لنا مكتبته، نرتادها متى نشاء، ودافعه إلى ذلك كرم شديد وإخلاص أكيد.

وأدعو الله تبارك وتعالى أن يقبل من الجميع، وأن يجعل أعمالهم في ميزان حسناتهم:

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾.

والحمد لله رب العالمين

بهوق بن يوسف بن بهوق حميد أوجانة

القرارة: في عاشوراء 1417هـ / 28 ماي 1996م

تعريف بالإمام الشيخ بيوض

هو الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيوض، من مواليد مدينة القرارة في: 1318 هـ الموافق لـ 21 أبريل 1899م كان يُعرف عليه الذكاء والنبوغ وحسن الحافظة منذ صباه، استظهر كتاب الله تعالى سنة: 1911 م وعمره اثنا عشر سنة.

- التحق بحلقة العلم عند شيخه الحاج عمر بن يحي طالبا، وعند وفاته سنة 1921 م خلفه في تسيير الحلقة ورفع راية العلم والإصلاح مدرسا.

- في سنة 1922 م: دخل عضوا في حلقة العزّابة وبعدها عُيِّن شيخا للوعظ والتدريس بالمسجد الكبير بالقرارة.

في سنة 1925 م: أسس معهد الحياة الثانوي لتعليم العلوم الشرعية والعربية.

- في سنة 1931 م: شارك في وضع القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان عضوا في إدارتها.

في سنة 1937 م: أسس جمعية الحياة للتربية والتعليم والثقافة في القرارة.

- في سنة 1940 م: عُيِّن رئيسا لمجلس العزابة في القرارة.

- من سنة 1941 م إلى سنة 1944 م: فرض عليه الاستعمار الفرنسي الإقامة الجبرية في مسقط رأسه القرارة.

- في سنة 1948 م وسنة 1951 م: انتُخب نائبا لدائرة غرداية في المجلس الجزائري.

- في مارس 1962 م: عُيِّن وزيرا للتربية في اللجنة التنفيذية المؤقتة في الحكومة الجزائرية.

والشيخ بيوض رحمه الله رجل إصلاح وكفاح في شتّى الميادين: الدينية، الثقافية، الاجتماعية، السياسية...إلخ.

وأهمُّ ما تركه من تراثه العلمي والثقافي تفسير مسجل لنص القرآن، وفتاوى مطبوعة، وأجوبة ومراسلات مخطوطة، ومجموعة من الدروس المسجلة لمناسبات عدَّة، منها: الدينية: كرمضان والأعياد،والجمع. والاجتماعية: كالأعراس، وحفلات الجوائز،والاجتماعات الخاصة والعامة. والتعليمية: كحفلات توزيع الجوائز على الفائزين من أبناء المدرسة والمعهد. والوطنية: كالأعياد الرسمية.

توفي الشيخ بيوض رحمه الله مساء الإربعاء 08 ربيع الأول 1401 هـ الموافق لـ 14 يناير 1981م في مسقط رأسه بمدينة القرارة، عن عمر يناهز 83 سنة قمرية. وترك من بعده جيلا من الرجال المخلصين والعلماء الأفداد المنتشرين في الآفاق، حاملين رسالة العلم ولواء الإصلاح وروح الجهاد.

يقول الرسول ﷺ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له»**.

فضل الصحابة
و
الرضا عنهم

دروس للإمام الشيخ بيوض

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

[تمهيد في موقف الشيخ من الصحابة]

وعدتُ مراراً بدروسٍ خاصَّة في الصحابة ﷺ

مَن هم؟ ما حكم الله تعالى فيهم؟ ما موقفنا نحنُ بالنسبة لهم؟ وخاصَّة الفتن التي وقعتْ بينهم، بعد وفاة النبيء ﷺ ؟

أمَّا الكلمة الجامعةُ في حقِّهم، فهي الرضَى عنهم جميعاً، والاستغفارُ لهم، كما أمرنا اللهُ تعالى؛ والوقوفُ فيماَ شجرَ بينهم.

هذه هيَ الخلاصةُ، وهذا ما أعتقدهُ، وأدين الله تعالى بهِ.

فأنا أرضى عن الصحابةِ أجمعينَ، وأقف فيماَ شجرَ بينَهمْ، لا تخطئةَ ولا تصويبَ، ولا خوضَ ولا دخولَ فيماَ شجرَ بينهمْ، ولا موجبَ له؛ وفي هذا السلامةُ كلُّ السلامةِ، والله سبحانه هو الذي يتولَّى أمر الذين خاضوا في هذا الموضوع قديماً أو حديثاً؛ ولهم ما اختاروا لأنفسهم.

[الصحابة: لغةً وشرعاً]

[الصحابةُ لغةً] :(1)

يظهر معنى لفظ الصحَّابة من كلمة الصُّحبة، والصاحِب، والكلمة معروفة ومشهورة المعنى، تقول: فلانٌ صاحبي، وأنا صاحبُه، وصحِبني وصحِبتُه، وهؤلاء أصحابُ فلان.

ليس في الكلمة غموضٌ، فمعناهاَ واضحٌ ومفهومٌ، ولفظُ الصحابة إذا أُطلقَ ينصرفُ معناهُ إلى النبيء ﷺ

---

1) - قال صاحب اللسان: «صحبه يصحبه صحبة بالضمِّ، وصحابة بالفتح، وصاحبه عاشره، والصَّحب جمع صاحب، والأصحاب جماعة الصحب»، وفي حديث: «**خرجت أبتغي الصحابة إلى رسول الله** ﷺ وهو بالفتح جمع صاحب ابن منظور: **لسان العرب**، مادة صحب، ج1/ص519.

وقال صحاب القاموس: «صحِبه كسمعه صحابة، ويكسر، وصُحبة عاشره، وهم أصحاب وأصاحيب، وصحابة؛ واستصحبه دعاه إلى الصحبة ولازمه» .الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، مادة صحبه، ج1/ص91.

[الصحابة شرعاً] :(1)

اختلفَ العلماءُ - قديماً وحديثاً - على من يُطلَقُ لفظُ الصحابيِّ، ومن الذي يتسمَّى به.

أمَّا البعضُ فاشترطوا شروطاً، وقالوا: «لا بدَّ أنْ يكونَ غزاَ مع النبيءﷺ.

غزوةً أو غزوتينِ، أو كان في بعضِ سراياهُ، أو صحبَهُ سنةً أو سنتينِ، وروى عنه حديثاً أو حديثينِ، ولا خلافَ في الإسلامِ والبلوغِ».

---

1) -يطلق اسم الصحابي على من أقام مع النبيء ﷺ سنة أو سنتين، أو غزا معه غزوة أو غزوتين، قال بهذا سعيد بن المسيَّب؛ وقال الواقدي: هو كلّ من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم، فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه، ولو صحبه ساعة من نهار؛ وقال أحمد بن حنبل: هو كلّ من صحب رسول الله ﷺ شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه؛ وقال البخاري: هو من صحب رسول الله ﷺ أو رآه من المسلمين.

ينظر: ابن الأثير: **أسد الغابة**، ج1/ص12.

ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج1/ص7.

والبعضُ الآخرُ - وهم الجمهورُ -[1] قالوا: «الصحابيُّ من أدركَ النبيء ﷺ ورآه، وكان بالغَ الحلمِ مسلماً»، ولا يشترطونَ أنْ يكونَ روى عنهُ، أو غيرِ ذلكَ ممَّا يشترطهُ بعض؛ ولذلكَ يصنّفونَ الصحابة إلى:

1 - صحابةٍ كبارٍ.

2 - وصحابةٍ صغارٍ.[2]

---

1) - قال ابن منظور في **لسان العرب**: «جمهر له الخبر أخبره بطرف له على غير وجهه، وترك الذي يريد، فقال الليث: الجمهور الرمل الكثير المتراكم الواسع، وجمهور كلّ شيء معظمه، وجمهور الناس حلّهم، وجماهير القوم أشرفهم، وجمهرتُ الشيءَ إذا جمعته» مادة جمهر، ج4/ص149.
والجمهور: «مِن جمهَر الشيءَ إذاَ جمعه، والجمهور من كلّ شيءٍ معظمُه». وإذا أطلق لفظ الجمهور عني به أغلب العلماء أو أكثرهم. *معجم لغة الفقهاء: قلعه جي، ص166.

2) - لم نجد هذا التصنيف فيما رجعنا إليه من المصادر، ولعلَّ هذا من حيث اختلاف أعمارهم، فيكون الصغير من الصحابة من أدرك النبيء ﷺ في أواخر عمره، دون البلوغ، وآمن به، كعبد الله بن عبَّاس؛ وتعريف البخاري للصحابة يشمل الصغار منهم والكبار. إنّ الشيخ فيما يبدو لي يعني كبير السن أو صغيره، والدليل قوله: ﴿السابقون الأولون﴾ والتصنيف على كُلّ حال فيما يبدو من حيث الأسبقية في الهجرة، وللمكانة عند الرسول ﷺ.

وجمهورُ الأمَّة على هذا الرأيِ، وعلى أنَّ الصحابة منهم السابقونَ الأوَّلون، ومنهم الذينَ جاؤوا من بعدهم.[1]

[السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار]

فالسابقون الأوَّلون - طبعاً - هم المهاجِرونَ مِن أصحابِ مكَّة، ومِن المعلومِ أنَّ أوَّل مَن آمنَ بالرسولِ ﷺ ـ لمَّا نبِّئ بالوحيِ - زوجتُه خديجة: أمُّ المؤمنينَ رضيَ الله عنها؛ لأنَّها أوَّل مَن أُخبرتْ بما وقع له في غار حراء[2] لمَّا عاد وبوادره ترجف فآمنت به؛ فأوَّل مؤمن خديجة، وأوَّل صحابيٍّ خديجة؛ ومن الرجال[3]

---

1) - إشارة إلى الآية الكريمة من سورة الحشر، وسيأتي تفصيلها .

2) - انظر تفصيل إيمان خديجة بالرسول ﷺ في: محمَّد خضري بكٌ نور اليقين، ص26.

=وانظر تفسير سورة المدثر في: *التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، ج29/ص292.

3) اختلف العلماء والمؤرّخون في أوَّل من أسلم من الذكور، فمنهم من قال: أبو بكر، ومنهم من قال: عليّ بن أبي طالب، والقول الجامع أن أوَّل مَن أسلم من الرجال أبو بكر، ومن الصبيان عليّ؛ وأغلب الروايات على أنَّ عليًا أسلم قبل أبي بكر وكتم إسلامه، وأبو بكر أعلنه للنبيء ﷺ لأول لحظة حينما دعاه.

ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة، ج4/ص18.

ابن كثير: السيرة النبوية، ج1/ص431-437.

أبو بكر ﷺ ، الذي كان صديقا للنبيء ﷺ قبل الإسلام، ولمَّا نزل عليه الوحي وأخبره بما جرى، صدَّقه وآمن به دون تردُّد، كما ورد في الحديث ما معناه، يقول النبيء ﷺ: **«ما دعوتُ أحداً إلاَّ كانت له كبوةٌ، لكنَّ أبا بكر أسلم لأوَّل وهلة»**.(1)

وأوَّل الصبيان عليّ بن أبي طالب، لأنَّه لمَّا يبلغ الحلم عند مبعث النبيء ﷺ، فآمن به، وعُدَّ أوَّل الصبيان إسلاماً.(2)

---

1) - لم أجده في **المعجم المفرس** لألفاظ الحديث النبوي، ولا في مصادر الحديث التي رجعت إليها مثل: **الجامع الصحيح** للربيع بن حبيب، **وصحيح البخاري**...
وقد أورده خالد محمَّد خالد في **وجاء أبو بكر** بنصّ: **«ما عرضتُ الإسلام على أحد إلاَّ كانت له كبوة، عدا أبي بكر فإنَّه لم يتلعثم»**. ص69
وانظر بألفاظ مختلفة: ينظر: ابن هشام: **السيرة النبويَّة**، ج1/ص252.
سيرة بن كثير: ج1/ص433.
خضري بكّ: **نور اليقين**، ص30.

2) -وكان عمره آنذاك عشر سنين، وهو أوَّل من صلَّى مع النبيء (ص).
ينظر: ابن كثير: **ن،م،س**، ج1/ص431-437.
الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج2/ص55 .

وأوَّل العبيد زيد بن حارثة [1] مولى النبيء ﷺ المذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿فلمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زوَّجْنَاكَهَا﴾[2]، وكان يُدعى زيد بن محمَّد، هو مولى لخديجة، وهبته للنبيء ﷺ لمَّا تزوَّجها، فمكث عنده، ولمَّا جاء الأسلامُ أسلمَ.

فالأوائل هم: من النساء خديجة، من الرجال أبو بكر، من الصبيان عليّ، ومن الموالي زيد بن حارثة؛ ثمَّ تتابع الإسلام شيئا فشيئاً ينتشر على مدى سنين طويلة.

وأبو بكر كان من الدعاة، أسلم على يديه أكثر العشرة :[3] عثمان بن عفَّان، عبد الرحمن بن عوف، أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح؛ هؤلاء هم الجماعة الأولى من المسلمين، من أهل مكَّة الأصلاء، من

---

1) - هو زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي (ت: 8هـ/629م): من أوائل الصحابة إسلاما، اختطف في الجاهليَّة صغيراً، واشترته خديجة، فوهبته للنبيء (ص) فتبنَّاه قبل الإسلام، وأعتقه وزوَّجه بنت عمَّته، واشتسهد في غزوة مؤتة.

ينظر: ابن الأثير، **الإصابة**، ج1/ص563.

الزركلي: **الأعلام**، ج3/ص96.

2) - سورة الأحزاب: الآية 37.

3) -ابن هشام: **السيرة النبويَّة**، ج1/ص250، تحت عنوان: ذكر مَن أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه.

ابن كثير: **السيرة النبويَّة**، ج1/ص437 .

العرب أو من الموالي؛ ثمَّ بعدهم بلال بن رباح الحبشي[1]، وعمَّار بن ياسر[2]، وآل ياسر[3] ، وبدأت الجماعة تكثر في مكَّة .

---

1) - هو **بلال بن رباح الحبشي أبو عبد الله** (ت: 20هـ/641م): مؤذّن رسول الله ﷺ ، وخازنه على بيت ماله، وعند إسلامه لقي عذابا أليما من قريش، ولكنّه ثبت على دينه، بقولته المشهورة: «أحد، أحد...» وهو من السبعة الأوائل الذين أظهروا إسلامهم.

ينظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج3/ص232-233.

أعلام الزركلي: ج2/ص49.

2) - هو **عمَّار بن ياسر بن عامر الكناني المدحجي** (ت: 37هـ/657م): من ذوي الرأي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، ومن السبعة الأوائل الذين أظهروا إسلامهم، وكان يلقّبه النبيء ﷺ « **الطيّب المطيّب**»، وهو أوّل من بنى مسجداً في الإسلام، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى من سورة النحل: ﴿**من كَفَرَ باللهِ من بعدِ إيمانِه إلاَّ مَن أُكرِهَ وقلبُه مطمئِنٌّ بالايمانِ**﴾ (الآية: 106)، وذلك لمَّا أكرهته قريش بالكفر بعد الإيمان، وله في السنّة اثنان وستون حديثا، وعاش ثلاثا وتسعين سنة.

ينظر: ابن كثير: **السيرة النبويّة**، ج1/ص436.

ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج3/ص246.

الزركلي: **الأعلام**، ج5/ص191.

3) - وهي عائلة عمَّار بن ياسر، أبوه ياسر بن عامر الكناني المدحجي، وأمّه سمية بنت خباط، توفيا نحو 7 قبل الهجرة / 615م، من الأوائل الداخلين في الإسلام من أصحاب رسول الله ﷺ ، احتملوا العذاب من كفّار قريش، لأجل دينهم، وهم الذين قال فيهم الرسول (ص): « **أبشِروا آلَ ياسر، فإنَّ موعدكم الجنّة** ». وسمية هي أوّل شهيد في الإسلام، إثر طعنة من أبي جهل.

ينظر: ابن هشام: **السيرة النبويّة**، ج1/ص319.

سيرة بن كثير: ج1/ص494.

وفي أواخر سنيّ النبيء ﷺ بمكّة جاء الوفد الأوّل من المدينة في ستّة من الأنصار[1]، فأعلنوا إسلامهم على يد النبيء ﷺ، وبايعوه بيعة العقبة الأولى[2]، ثمّ رجعوا إلى المدينة، ونشروا فيها الإسلام.

وفي العام القابل، جاء منهم إلى مكّة في موسم الحجّ اثنا عشر رجلا[3].

أعلام الزركلي: ج3/ص205 و ج9/ص153.

1) - الستّة الذين لقيهم الرسول ﷺ عند العقبة في الموسم هم: أبو أمامة، وأسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وطبقة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رباب، وهم من الخزرج، دعاهم النبيء ﷺ إلى الإسلام.

ينظر: سيرة ابن هشام: ج1/ص429.

ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2/ص728.

2) -في السنة 11 من البعثة النبويّة.

3) - وهي بيعة العقبة الأولى – عند عموم المؤرّخين – وتسمّى عقبة النساء، حيث حضر إلى رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلا، خمسة من عديّ، وسبعة من غيرهم، بايعوه على الطاعة، وعلى أن لا يشركوا بالله شيئا، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يفتروا الكذب. وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب. ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج6/ص2494.

أبو داود: سنن، كتاب الأدب، ج2/ص131.

ابن هشام: السيرة النبويّة، ج1/ص431.

ابن كثير: السيرة النبويّة، ج2/ص178.

ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2/ص729، 730.

وفي العام الثالث كان منهم سبعون رجلاً [1] وامرأتان لبيعة العقبة الثالثة والأخيرة[2]، وهناك من يعدُّ بيعة العقبة اثنتين[3]؛ هؤلاء هم الأنصار من أهل المدينة، لمَّا أسلموا عاهدوا النبيء ﷺ على التمسّك بالإسلام، وعلى نصرته إذا جاءهم إلى المدينة، ويمنعوه ممَّا يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وذراريهم، واعتمادا على ذلك العهد والوعد الذي

---

1) - وهي بيعة العقبة الثانية، لمَّا رجع مصعب بن عمير إلى مكّة ومعه ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان، جاؤوا فبايعوا رسول الله ﷺ على أن يمنعوه ممَّا يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يهاجر إليهم هو وأصحابه، وضربوا له للموعد من أوسط أيَّام التشريق، فكان ذلك اليوم، واختار الرسول ﷺ اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وقال لهم: «**أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي**».

ينظر: سيرة بن هشام: ج1/ص438، 439.

الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج2/ص92-93.

سيرة بن كثير: ج2/ص192.

سيرة بن خلدون: ج2/ص731-736.

2) - وأغلب الروايات تنصّ على أنَّ أصحاب العقبة الثانية ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان. وانظر التعليق السابق في هامش رقم 04 ص 07

3) - وأغلب الرواة على هذا، ولم نجد من عدَّها ثلاثا.

قطعوه على أنفسهم[1]، هاجر النبيء ﷺ من مكّة إلى المدينة لأنّه تكوّنت له فيها جماعة تأويه وتنصره.

[إرسال مصعب بن عمير إلى يثرب]

وقبل هجرته إلى المدينة، وبعد بيعة العقبة الثانية أرسل إليها مصعبَ بن عمير، الشابَّ المثقّف، الحاملَ لمَا نزل من كتابِ اللهِ، لينشر الإسلام فيها، ويقرئ القرآن أبناءَ أهلها.

ولمصعب بن عمير تاريخ مشهور[2]، **والواجب على شباب الإسلام في جميع البلاد أن يتّخذوه قدوة لهم**، فقد كان فتى مدلّلاً في مكّة بين أهله وقومه، محبوبا لأمّه وأبيه، ثمَّ رضي الله له الإسلام وهاجر والديه والبيتَ المدلّل فيه، حتّى كان جلده يبيس من الجوع والحاجة الشديدة، بعد أن كانت على وجهه نضرة النعيم.

---

1) -والذي وثّقهم على عهدهم هذا هو عمّ النبي ﷺ العبّاس بن عبد المطّلب، وهو آنذال على دين الكفر، فوثّقهم على أن يدفعوا عنه ما يدفعون به على أنفسهم، وأن ينصروه ولا يخذلوه، فقبلوا وعاهدوا النبيء ﷺ على هذا، وبايعوه، وكان أوّل من أخلص وبايعه البراءُ بن معرور، ثمَّ تبعته أيادي الأنصار الباقين. سيرة بن هشام: ج1/ص441، 442.

2) - وهو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف: من السابقين إلى الإسلام، كان فتى مدلّلا في أهله، لمّا أسلم نبذوه وحبسوه، فهرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثمَّ رجع إلى مكّة، وهاجر إلى

هؤلاء الأوَّلون الذين دخلوا الإسلام في مكَّة، والأوَّلون الذين دخلوا الإسلام من أهل المدينة، وهم المعبّر عنهم بالمهاجرين والأنصار، الذين هم السابقون الأوَّلون الذين تكوّنت منهم الجماعة الأولى في الإسلام.

[الآيات النازلة في حقّ المهاجرين والأنصار]

ولْنستحضر بعض آيات القرآن الكريم النازلة فيهم، ونبدأ بآيتين في سورة الأنفال:

الآية الأولى: ﴿إنَّ الذينَ ءامَنواْ وهاجَروا وجاهَدوا بأموالِهم وأنفسِهم في سبيلِ اللهِ، والذينَ ءاَوَواْ ونصَرواْ أولئكَ بعضهمُ أَولياءُ بعضٍ﴾ (1)

عقد الله تعالى هذه العلاقة المتينة بين الجماعة الأولى من المهاجرين والأنصار، بين أهل مكَّة المؤمنين الذين هاجروا إلى المدينة، وأهل المدينة

للمدينة، وكان أوَّل من أقام الجمعة فيها، وأرسله الرسول ﷺ ليقرئ القرآن أهلها، ويعلّمهم الإسلام، وكان يلقّب "مصعب الخير"، وكان حامل اللواء في غزوة أحد، وفيها استشهد.

ينظر: ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج3/ص116.

الزركلي: **الأعلام**، ج8/ص150.

1) - سورة الأنفال: الآية 72.

الذين آووا وضمَّوا إخوانهم المهاجرين إلى أنفسهم، وعلى رأسهم النبيء ﷺ، احتضنوهم في مدينتهم، وفي ديارهم، وشاركوهم أموالهم.

الآية الثانية: وتنبَّهوا إليها جيّداً*، وهي قوله تعالى: ﴿**والذينَ ءامَنوا وهاجَروا وجاهدوا في سبيلِ اللهِ، والذينَ ءاوَواْ ونصروا أولئكَ همُ المومِنونَ حقاً، لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ**﴾.[1]

فالجماعة التي ذكرناها في الآية الأولى هي نفسها التي كرّر ذكرها في الآية الثانية، ليحكم عليها بهذا الحكم الذي لا يُنقض أبداً، لأنَّ الله تعالى لا يبدِّل القول لديه.[2]

قال في حقّهم: ﴿**أولئكَ همُ المومنونَ حقّاً**﴾:

أوّلاً ـ أشار إليهم بلفظ البعيد "أولئك" تشريفاً لهم وتعظيماً، وهو أبلغ وأعظم من لو قال "هؤلاء."

ثانيًا ـ عظَّمهم بضمير الفصل "هم".

ثالثاً ـ عظَّمهم بقوله "المؤمنون"، فحكم عليهم بالإيمان بلفظ التعريف، ولو شاء لمَا قال "أولئك"، ولقال "مؤمنون" ولمَا جاء

---

* هذا الأسلوب كثيرا ما كان يستعمله الشيخ بيوض (رحمه الله) عندما يوجه خطابه إلى أبنائه الطلبة أو العوام.

1) ـ سورة الأنفال: الآية 74.

2) ـ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ما يبدَّل القولُ لديَّ وما أنا بظلاَّمٍ للعبيد﴾ سورة ق: الآية 29.

بضمير الفصل، ولو سقط ضمير الفصل وسقطت أداة التعريف "أل" وقال: "مؤمنون" لكان المعنى صحيحاً، ولكنَّ الروعة والبلاغة والإشارة إلى عظمة هؤلاء وفضلهم في هذا الأسلوب: ﴿أولئكَ هم المومنونَ﴾.

ثمَّ زاد عليه كلمة "حقًّا"، وكلمة "حقًّا" لها وزنٌ ثقيل لا يقدَّر قدرها، فهم المسلمون حقًّا لا غيرهم، إلاَّ مَن سلكَ مسلكهم، وهنالك غيرهم مِمَّن يدَّعي الإيمان ولكن ليس بمؤمن حقًّا.

[ذنوب المهاجرين والأنصار لا تقع إلاَّ مغفورةً]

ولو شاء الله لقال "أولئك هم المؤمنون" فقط، دون كلمة "حقًّا"، فهل بعد هذه اللحظة التي نزلت فيها هذه الآية يمكن أن يكون إيمان أولئك باطلاً؟ لا نظنُّ أنَّ عاقلاً يتصوّر هذا، فالله حكم عليهم بالإيمان الحقّ، حكماً لا معقّب له[1]، وقضاء لا نقيض له.

ثمَّ بيَّن جزاءهم بقوله: ﴿لهم مَّغفرةٌ ورزقٌ كريم﴾، والمغفرة تكون – فيما نفهم، وفيما تدلُّ عليه كلمة "حقًّا" – لِما مضى ولِما يأتي، وتنبَّهوا جيِّداً لهذه النكت.

---

1) - إشارة إلى قوله تعالى ﴿والله يحكم لا معقّب لحكمه، وهو سريعُ الحساب﴾ الرعد: الآية 41.

فهؤلاء المؤمنون حقًّا لهم مغفرة ممَّا ارتكبوه قبلُ وهم مشركون، قبل أن يدخلوا الإسلام، والإسلام يجبُّ[1] ما قبله.

ولهم مغفرة وُعدوا بها لِما يمكن أن يبدر منهم غير الرجوع إلى الكفر والشرك، إذ ربَّما يلمُّ بهم شيءٌ، أو يلمُّون بشيء، كما قال تعالى: ﴿**إنَّ الذين اتَّقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطانِ تذكَّروا فإذا هم مُبصرونَ**﴾[2]، فالله تعالى أعطاهم هذا الحقّ وهذه المزيةَ، وسيأتينا مزيد من شرح هذه النكتة عندما نعرض قصَّة حاطب بن أبي بلتعة[3].

---

1) -الجبُّ هو القطع، جبَّه يجبُّه جبًّا وجِباباً واجتبَّه، وجبَّ خصاه جبًّا استأصله، ومنه الحديث: «**إنَّ الإسلام يجبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها**» أي يقطعان ويمحوان ما كان قبلهما من الكفر وللعاصي والذنوب.

ينظر: ابن حنبل: **المسند**، ج4/ص195، 204، 205.

ابن منظور: **لسان العرب**، ج1/ص249.

2) - سورة الأعراف: الآية 201. أو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**الذينَ يجتنبونَ كبآئر الاثم والفواحش إلاَّ اللممَ إنَّ ربَّك واسع المغفرة**﴾ سورة النجم: الآية 32.

واللمم ما كان منهم في الجاهليَّة من ارتكاب الفواحش والآثام، ولـمَّا جاء الإسلام غُفر لهم ذلك. الطبري: **جامع البيان**، ج9/ص38.

3) – **هو حاطب بن أبي بلتعة بن عمر بن عمير بن سلمة اللخمي حليف بني أسد (35 ق هـ – 30 هـ)**: صحابي مشهور شهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وهو من أشدّ الرماة، وكانت له تجارة واسعة.

ونحن نظنُّ أنَّنا إذا تدبَّرنا الآية حقَّ التدبُّر خاصَّة كلمة "حقًّا" بعد الصفات التي وصفهم بها، والتشريفات التي شرَّفهم بها، وهذا الحكم الذي أصدره في حقّهم، ندرك قولَ العلماء: إنَّ البدريينَ - أو هؤلاء الذين تقدَّم ذكرهم - لا تقع ذنوبُهم إلاَّ مغفورة؛ فقد وعدهم الله تعالى بالمغفرة مسبَّقاً، ولو كان ما ارتكبوه يستلزم التوبة ما وعدوا المغفرة فإنَّ الله يتوب عليهم كما قال: ﴿**ثمَّ تاب عليهم لِيتُوبوا**﴾[1]، يعني: يوفَّقون إلى التوبة والاستغفار، ولا يُصرُّون على ذنب؛ فالمغفرة حقَّت لهم، وكأنَّها حقٌّ من حقوقهم.

كما أنَّه ينبغي أن لا ننسى تنكير كلمة "مغفرة"، فهو سبحانه وتعالى لم يقل: "أولئك يغفر لهم ذنوبهم" أو "لهم الغفران".. وإنَّما قال: ﴿**لهم مغفرة**﴾ .وللتنكير في هذا المقام

بعثه النبيء ﷺ بكتاب إلى للقوقس صاحب الاسكندرية، مات بالمدينة وهو ابن خمس وستين (65). وصلّى عليه عثمان بن عفّان رضي الله عنه. ينظر: ابن سعد: **طبقات**، ج3/ص114.

ابن حجر: **الإصابة**، ج1/ص300.

الزركلي: **الأعلام**، ج2/ص163.

1)- سورة التوبة: الآية 18 .

روعته[1]، لهم مغفرة تأتي على ذنوبهم ما مضى منها وما يأتي، ورزق كريم بالخلود في الجنّة يوم القيامة.

[فضل السابقين الأولين على غيرهم]

ثمَّ يقول بعد ذلك في تفضيل من يذكرهم: ﴿**والذينَ ءامَنوا من بَعد وهاجَروا وجاهَدوا معكم فأولئكَ منكم**﴾[2]، لنتنبَّهْ لهذه النكتة الغريبة في قوله: ﴿**فأولئكَ منكم**﴾[3]، ماذا نفهم منها؟

نفهم من هذا أنَّ الجماعة الأولى التي تكوَّنت وتبلورت، واشتبك بعضها ببعض، قواعدها وأصولها هم المهاجرون والأنصار الذين عبَّر عنهم بقوله: ﴿**والسابقون الاوَّلون من المهاجرين والانصار**﴾ والذين جاؤوا بعد هذه الجماعة الأولى في ذلك الوقت نفسه، وآمنوا وهاجروا معهم فأولئك منهم.

---

1) - والتنكير هنا أفاد العموم، لأنَّ النكرة من صيغ العموم.

2) - سورة الأنفال: الآية 75. وقيل: هؤلاء هم المؤمنون المهاجرون من بعد صلح الحديبية، وهي الهجرة الثانية، وقيل: من بعد غزوة بدر؛ والأصحّ أنَّ المراد بهم الذين هاجروا بعد الهجرة الأولى.

ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج8/ص59.

الألوسي: **روح المعاني**، ج10/ص35.

رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج10/ص134.

3) - أي في الموالاة والنصرة، وقال بعض: معكم في الوارثة. انظر المراجع السابقة.

فأصل المؤمنين على وجه الأرض كلّها هم هؤلاء السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار(1)؛ والذين جاؤوا بعدهم وهاجروا وجاهدوا إلى يوم الفتح، لأنَّ الهجرة نُسخت بيوم الفتح(2)، وقد كانت قبل واجبةً.

هذا كلام ا لله عزَّ وجلَّ وليس كلام بشر،أوكلام مؤلّف أو راوٍ:

﴿والذينَ ءامَنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل ا لله، والذينَ ءاوَوا ونصرواْ، أولئك هم المومنونَ حقًّا، لهم مفغرة ورزق كريم، والذينَ ءامَنوا من بَعد وهاجَروا وجاهَدوا معكم فأولئكَ منكم﴾.

---

1) - لأنَّ لهم الفضل في السبق والأولوية، ولأنَّها الجماعة الأولى التي كوَّنت رابطة متينة، سواء الذين هاجروا مع النبيء (ص) أو الذين نصروه وآووه، ولقوله ﷺ لـمَّا سئل: «أيُّ الناس خير؟» قال: «**قَرني ثمَّ الذينَ يلونهم ثمَّ الذين يلونهم**».

العسقلاني: **فتح الباري**، باب فضائل أصحاب النبيء (ص)، ج7/ص4.

النووي: **شرح صحيح مسلم**، باب فضل الصحابة (ض) ثمَّ الذين يلونهم ثمَّ الذين يلونهم، ج16/ص85.

2) -عن ابن عبَّاس قال: قال رسول ا لله ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادا ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**»، وعن عائشة قالت: سئل رسول ا لله ﷺ عن الهجرة، فقال: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**».

ينظر: العسقلاني: **فتح الباري**، باب فضل الجهاد والسير، ج6/ص3.

النووي: **شرح صحيح مسلم**، باب للبايعة بعد فتح مكّة على الإسلام والجهاد والخير، ج13/ص8.

إذن هذا هو الرعيل من الصحابة، ويبدو أنَّ هذه الآية تفسّرها وتبيِّنها آية سورة الحديد، من قوله تعالى: ﴿**لا يستوِي منكم منَ اَنفقَ من قبلِ الفتحِ وقاتَل أولئكَ أعظمُ درجةً منَ الذينَ أنفقوا مِن بعدُ وقاتلوا وكُلاًّ وعد ا لله الحسنى**﴾[1]، وآيةُ سورة التوبة، من قوله تعالى: ﴿**والسابقونَ الاوَّلونَ منَ المهاجرينَ والانصارِ والذينَ اتَّبعوهم بإحسانٍ رضيَ ا للهُ عنهم ورضُوا عنهُ وأعدَّ لهم جنَّاتٍ تجري تحتهاَ الانهارُ خالدينَ فيها أبداً ذلك الفوزُ العظيمُ**﴾.[2]

وعبَّر بالسبق والأولويَّة وهما وصفان قد يُغني أحدُهما عن الآخرَ ، كأن يقول : "والسابقون من المهاجرين والأنصار" أو " الأولون منهم "،ولكن ا لله تعالى جمع الوصفين معا السابقون الأولون :الأوائل الدين سبقوا إلى الإيمان بالنبيئ ﷺ وإلى الهجرة والنصرة ،و إلى تقبل المهاجرين بينهم، فهؤلاء هم السابقون الأولون .

---

1) - سورة الحديد: الآية 10.

وانظر القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج17/ص239 .

2) -سورة التوبة: الآية 100.

وانظر الألوسي: **روح المعاني**، ج11/ص7.

والدين اتبعوهم بإحسان :هم الدين قال فيهم : ﴿ **والدين آمنوامن بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم** ﴾ وهده الآية تعبر بصريح العبارة أن الهجرة لاتزال ، وبابها لايزال مفتوحا ، و لايزال من فر بدينه من مكّة في هذا العهد قبل الفتح يُعتبر مهاجراً، ولكن ليس فضله كالأوّل السابق.

ترى من هم السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار(1)؟

قال بعض العلماء في القديم والحديث: هم من شهد بدراً، وقال بعض: هم من شهد الحديبية.

---

1) - السابقون الأوّلون من المهاجرين قيل: هم الذين صلُّوا إلى القبلتين، وروي هذا عن أبي موسى الأشعري، وسعيد بن المسيّب، وابن سيرين، والحسن، وقتادة وغيرهم؛ وقيل: هم الذين شهدوا بدراً رووي هذا عن محمّد بن كعب، وعطاء بن يسار، وقيل: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان في الحديبيّة، وعليه الشعبي.

وأمّا السابقون الأوّلون من الأنصار قيل: هم الذين بايعوا النبيء ﷺ عند العقبة الأولى، وكانوا ستّة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا ثلاثا وسبعين، والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير يعلّمهم القرآن.

ينظر: ابن كثير: **تفسير القرآن**، ج3/ص286.

الزمخشري: **الكشّاف**، ج2/ص55.

الرازي: **التفسير الكبير**، ج4/ص504.

ابن عبد البرّ: **الاستيعاب**، ج1/ص3.

رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج11/ص13-14.

ولكن لماذا الخلاف، وتفسير ذلك جاءنا في كتاب الله، في قوله تعالى: ﴿**لا يستوِي منكم منَ اَنفقَ من قبلِ الفتحِ وقاتَل أولئكَ أعظمُ درجةً منَ الذينَ أنفقوا مِن بعدُ وقاتلوا وكُلاًّ وعد الله الحسنى**﴾، والفتح إمَّا هو صلح الحديبية، وإمَّا هو فتح مكَّة، والجمهور على أنَّه فتح مكَّة[1]، وإن كان بدأ النصرة والفتح إنَّما كان من الحديبية، لمَّا عقد النبيء ﷺ صلحاً مع المشركين، فأزيلت حالة الحرب[2]، ويومئذ اختلط أهل مكَّة والعربُ الذين من حولهم، بعضهم ببعض، مؤمنهم وكافرهم، فتمكَّن المسلمون من نشر الإسلام والدعوة إليه، وتمكَّن الكفَّار من رؤية أخلاق المسلمين ومعاملتهم الحسنة، كيف ربَّاهم القرآن وربَّاهم النبيء ﷺ في هذه المدَّة القصيرة، وكيف تحوّلوا وكأنَّهم خلق آخر.[3] ولهذا بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً[4]، فأسلم كثير من الأبطال منهم خالد بن الوليد، وقبل فتح مكَّة، فبدأت

---

1) - وانظر في بيان معنى الفتح من هذه الآية: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج17/ص239.

2) - انظر سيرة بن هشام: **السيرة النبويَّة**، ج2/ص316-317.

3) - وهذا كلّه حدث بعد صلح الحديبيَّة عند عمرة القضاء، في السنة السابعة للهجرة، حيث حجّ من النبيء (ص) يومئذ ألفان سوى النساء والصبيان.

4) - إشارة قوله تعالى: ﴿**إذا جآءَ نصرُ الله والفتحُ ورأيت الناسَ يدخلونَ في دينِ الله أفواجا، فسبِّح بحمد ربِّك، واستغفره إنَّه كان توَّاباً**﴾ سورة النصر.

تباشير النصر، وبدأت أسبابه، يسلم بعضها إلى بعض، حتّى كان الفتح في العام الثامن، فدخل النبيء ﷺ مكّة فاتحاً في عشرة آلاف، بعد أن كان الذين شهدوا بدرا ثلاثمائة وثلاثة عشر.

فالنصُّ القرآنيُّ إذن ينصُّ على أفضلية الجماعة التي أسلمت وهاجرت قبل الفتح، وأنفقت وقاتلت، وهذه الجماعة منها السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار، ومنها الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا قبل الفتح؛ فهذا هو ترتيب طبقاتُ الصحابة.

[الذين جاؤوا من بعدهم... والتابعون]

أمَّا قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿**والذينَ جآؤوا من بعدِهم يقولون...**﴾[1]، في البيان الصادر فيمن له الحقُّ في الفيء الذي أفاءه الله على المسلمين، من أموال الكفَّار غير الأخماس الأربعة، التي تكون للمقاتلين إذا كان هنالك قتال، والذين يأخذون من الخمس الذي هو لله وللرسول ولذي القربى، فهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم هم الذين يأتون بعد هذه الجماعة إلى أن تقوم الساعة.

---

1) - سورة الحشر: الآية 10.

ففرقٌ إذن بين قوله: ﴿**والذينَ اتَّبعوهم بإحسانٍ**﴾، وقوله: ﴿**والذين جآؤوا من بعدهم**﴾، فافهموا جيِّداً دقَّة التعبير* هنا ولا غرابة، فالكلام كلام الله، في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، فالتابعون عبَّر عنهم بالاتِّباع، وخصَّهم بذكر الهجرة والجهاد، وأمَّا الذين ورد ذكرهم في سورة الحشر في بيان من له الحقُّ في الفيء فعبَّر عنهم بالمجيء، والذين جاؤوا من بعدهم، أي من بعد المسلمين الأوَّلين حتَّى قيام الساعة، ولذلك وصفهم بقوله: ﴿**يقولون: ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾.

[حكم الله تعالى على الصحابة بالمغفرة والرضوان]

وقد حكم الله تعالى - في آيات عديدة من كتابه - بالمغفرة والرضوان على هؤلاء الصحابة في أساليب متنوِّعة، وعبارات مختلفة، منها قوله: ﴿**لهم مغفرة ورزق كريم**﴾، ﴿**أولئك هم المومنون حقًّا**﴾، ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾ .والله تعالى لا يعود في رضاه، وقد أسنده إلى المهاجرين والأنصار، والذين اتَّبعوهم بإحسان.

---

* قد سبق التعليق عليه في هامش ص 14.

ويقول الله تعالى في شأنهم في جيش العسرة في غزوة تبوك[1]: ﴿**لقد تاب الله على النبيء والمهاجرينَ والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العُسرة، من بعد ما كاد تزيغ قلوبُ فريقٍ منهم، ثمَّ تاب عليهم، إنَّه بهم رؤوف رحيم**﴾.[2] خصَّ الله تعالى ذكر المهاجرين والأنصار، الذين يركبون جيش العسرة، وذكر إلى جانبهم النبيء ﷺ تشريفا لهم، كما كان ذلك في قوله تعالى: ﴿**واعلَموا أنّما غنِمتم من شيء، فأنَّ لله خُمُسه وللرسول**﴾.[3]

والجمهور على أنَّ ذكر الله تعالى في مثل هذه المقامات تشريف لنبيئه ولمن ذُكر معه[4]؛ ثمَّ بعد ذلك يخصُّ بالذكر الثلاثة الذين خُلّفوا: ﴿**وعلى الثلاثة الذينَ خُلّفوا...**﴾[5]، في قصَّة طويلة مشهورة.[6]

---

1) -وكان ذلك في رجب من سنة تسع للهجرة، وانظر ابن هشام: **السيرة النبويَّة**، ج2/ص3 .
وابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج1/ص819-822.

2) -سورة التوبة: الآية 117.

3) - سورة الأنفال: الآية 41.

4) - انظر الطبري: **جامع البيان**، ج28/ص24 .

5) -سورة التوبة: الآية 118.

6) - والثلاثة الذين خلّفوا في الأرض هم : أ)- **كعب بن مالك بن أبيّ**: كناه النبيء (ص) أبا عبد الله، شهد العقبة، وبايع بها، وتخلّف عن بدر، وشهد أحدا، وتخلّف أيضًا في تبوك. مات أيّام

[المشقّة التي تحمّلها جيش العسرة]:

وجيش العُسرة هو الذي خرج لغزوة تبوك في مشارف الشام، بعد أن بلغ النبيءَ ﷺ أنَّ هرقل ملك الروم[1]، ونصارى الشام يتهيَّأون لغزوه، فبادرهم لتخويفهم، وكانت وقت الصيف والحرُّ شديد، وخزائن المؤونة فرغت، لأنَّهم في آخر العام، وفي آخر العام لا يبقى إلاَّ الشيء القليل من الغلَّة التي كانت من العام الماضي، والغلَّة الجديدة لم تطب بعد وهي في الإبان؛ وهم في عسر من جهة المال، وعسر من جهة الظهر، ليس لهم ما يحملهم، وكان العشرة يتعاقبون جملا واحداً، والمسافة بعيدة، لا ماء في الطريق، وصدق الله العظيم إذ سمَّى الغزوة بساعة العسرة.

أراد الله تعالى أن يختبر الصحابة ويبتليهم، فنفروا لـمَّا استنفرهم النبيء ﷺ، وأبلى فيها البلاء الحسن الإمام عثمان بن عفَّان، إذ جهَّز

قتل علي . العسقلاني: الإصابة، ج8/ص302. ب) هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري: شهد بدراً وما بعدها، وعاش إلى خلافة معاوية. العسقلاني:

ن، م، س، ج8/ص606-607.

جـ) مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي: من بني عمرو بن عوف، صحابي مشهور، شهد بدرا. العسقلاني، ن، م، س، ج8/ص396.

1) - هرقل أو هيراكليوس (610-641م): أمبراطور بيزانطي، قاهر الفرس، فشل في وقف الفتح العربي، فتخلّى عن سورية وفلسطين وما بين النهرين ومصر.

دار الشروق: المنجد في اللغة والأعلام، ص595 (الأعلام).

جيش العسرة من ماله الخاص[1]، ولغزوة تبوك وما وقع فيها من معجزات حديث يطول[2]، وا لله تعالى أعلن توبته على النبيء والمهاجرين والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العسرة، وهو بهم رؤوف رحيم؛ ومن توبته عليهم أن يغفر لهم ذنوبهم، وأن يوفّقهم إلى التوبة ممَّا بدر منهم، ويحفظهم من الوقوع والإلمام بشيء، وإن ألمُّوا بشيء ذكّرهم فإذا هم مبصرون فتابوا وأنابوا.

[رضا الله عن المبايعين تحت الشجرة]

وقبل العسرة قال تعالى في صلح الحديبية[3] : ﴿لقد رضيَ ا للهُ عن المومنينَ إذ يبايِعونكَ تحتَ الشجرةِ فعلِم ما في قلوبهم، فأنزلَ

---

1) -قيل إنَّه أنفق ألف دينار، فقال رسول ا لله ﷺ «اللهمَّ ارضَ عن عثمان فإنّي عنه راضٍ»، وكذلك التزم بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها.
ابن كثير: السيرة النبويَّة، ج4/ص6-7.

2) - ومن معجزاته ﷺ في هذه الغزوة: إذ كان اليومُ يومَ حرٍّ وعطش شديد، رفع يديه إلى السماء، فلم يرجعهما حتّى أظلّت السماء، ثمَّ سكبت فملؤا ما عندهم من الأواني.
القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج8/ص297.
وانظر تفاصيل الحادثة كاملة في الطبري: جامع البيان، ج11/ص39-40.

3) - صلح الحديبيَّة كان في آخر السنة السادسة للهجرة النبويَّة.
وانظر ابن هشام: السيرة النبويَّة، ج2/ص308.

السكينة عليهم، وأثابهم فتحا قريباً، ومغانِم كثيرة ياخذُونها، وكان الله عزيزاً حكيماً﴾.[1]

لقد: اللام مشعرة بقسم محذوف، وكأنَّه قال: وعزَّتي وجلالي. ثمَّ زاد توكيداً آخر بعد اللام بـ"قد" التي هي للتحقيق.

رضي عنهم، وأكَّد هذا الرضى، وقال: إنَّه أنزل السكينة عليهم، وأثابهم فتحاً قريباً، ومغانم كثيرة يأخذونها. وهل يعود الله في رضاه؟ وهل ينقض الله تعالى رضاه؟ وأصحاب الشجرة معروفون، هم ما بين ألف وأربعمائة وألف وخمسمائة.[2]

يقول الذين يطعنون في الإمام عثمان: إنَّه لم يشهد بيعة الرضوان، وبيعة الرضوان نفسها وقعت بسبب عثمان، إذ أرسله النبيء ﷺ ليخاطب المشركين، لِما

---

1) -سورة الفتح: الآية 18-19.

2) - قال الشيخ اطفيِّش: «وجُمع بين حديث مسلم وحديث البخاري بأنَّ ما في مسلم في مبدأ البيعة، والمؤمنون ألف وأربعمائة عند الجمهور، ورواه البخاري عن جابر، وحدَّث سعيد بن المسيب عن جابر أنَّهم ألف وخمسمائة، وكذا رواه أبو داود عن عبد الله بن أبي؛ أو في ألف وثلاثمائة. وعند ابن أبي شيبة عن سلمة بن الأكوع ألف وسبعمائة؛ وذكر موسى بن عقبة أنَّهم ألف وتسعمائة؛ وعن ابن سعد ألف وخمسمائة وعشرين» اهـ.

تيسير التفسير: ج5/ص425. وانظر ابن هشام: السيرة النبويَّة، ج2/325.

له من حذاقة ولباقة في المفاوضة، ولما يتمتَّع به من حماية، وقد كان النبيء ﷺ عرض الأمرَ على عمر فأشار عليه بعثمان.(1)

ولـمَّا دخل عثمان مكَّة، وطالت إقامته، شاع بين الناس أنَّ المشركين اغتالوه، فتأثَّر المسلمون، فأمر النبيء ﷺ بالبيعة، فبايعوه تحت الشجرة، وكان المسلمون كلُّهم يمرُّون عليه واحداً واحداً، يبايعونه بيعة فردية، على الجهاد في سبيل الله، وعلى النصرة والموت معه، حتَّى إذا انتهى المسلمون من المبايعة، ضرب النبيء ﷺ بيمناه على شماله فقال: «**هذه عن عثمان**».(2)

[إلزامهم كلمة التقوى]

ويقول الله تعالى في شأنهم: ﴿**إذ جعلَ الذينَ كفروا في قلوبهم الحمية، حمية الجاهلية، فأنزلَ الله سكينته على رسوله، وعلى المومنين، وألزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحقَّ بها وأهلَها، وكان الله بكلِّ شيءٍ عليماً**﴾(3)، لله ما أعظم هذه الآيات في شأن الصحابة، خاصَّة أصحاب الحديبية.

---

1) - للتوسّع ينظر «**عثمان رسول محمَّد إلى قريش**»، ابن هشام: **السير النبويَّة**، ج2/ص315.

2) - وانظر بن كثير: **السيرة النبويَّة**، ج3/ص319 .

3) -سورة الفتح: الآية 126. وانظر تفسيرها عند اطفيِّش: **تيسير التفسير**، ج5/ص439-441.

ألزمهم كلمة التقوى، كأنَّه ألصقها بهم، وغرزها في قلوبهم فالتزموها، و لم يلبسوها لبس الثوب، ينزعه الواحد متى شاء، فالتقوى لازمة لهم، كأنَّها لا تنفكُّ عنهم، ولا ينفكُّون عنها في مغداهم ومراحهم، وفي أقوالهم وأفعالهم، وحركاتهم وسكناتهم.

وكلمة التقوى هي: لا إله إلاَّ الله، التي مثَّلها الله تعالى بقوله: **﴿ضربَ الله مثلاً كلمة طيِّبة كشجرةٍ طيِّبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، توتي أُكلَها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها﴾**[1]، فعقيدة الأولهية والوحدانية لله تعالى متمكِّنة في قلوبهم؛ وإذا تمكَّنت في القلب فهي كالشجرة الطيِّبة أصلها ثابتٌ وفرعُها في السماء، والأغصان هي حركات اللسان والعين والأنف، واليد والرجل، وغيرها التي تصدر عن ذلك الأصل الطيِّب، عن تلك الشجرة المغروسة الضاربة جذورها في قلوبهم، ولذلك ارتفعت أغصانها، فهي تؤتي أُكلها كلَّ حين، والتعبير بـ"كلِّ حين" يدلُّ على ما دلَّت عليه كلمة "وألزمهم كلمة التقوى"، فهم متَّقون في كلِّ حين، وشجرة التقوى متمكِّنة تؤتي أُكلها كلَّ حين، في العسر وفي اليسر، في المَنشطِ والمكره، في السفر والحضر، في الرخاء والشدَّة، في البأساء والضرَّاء، وفي النعماء والسرَّاء.

---

1) - سورة إبراهيم: الآية 24 - 25.

وإذا تأمَّلنا قوله تعالى: ﴿**وألزمهم كلمة التقوى**﴾ ثمَّ قولَه: ﴿**وكانوا أحقَّ بها وأهلَها**﴾، نرى العجب والعظمة في ثلاثة أمور:

أوَّلاً- ﴿**ألزمهم كلمة التقوى**﴾ ومن ألزمه الله شيئا لا يمكن أن ينفكَّ عنه، ولا أن يفكَّه عنه أحد، لا شيطان إنس ولا شيطان جنٍّ.

ثانياً- ﴿**وكانوا أحقَّ بها**﴾ يعني: هؤلاء هم أحقُّ بالتقوى، فقد يصف الناس أنفسَهم بالتقوى، فيقول أحدُهم: أنا متَّقٍ، أو عندي تقوى. ولكن الأحق بالتقوى هم هؤلاء، وهم أحقُّ بحقيقة الاتِّصاف بها من غيرهم، ولا يوجد مَن يماثلهم فيها، والصيغة جاءت على صورة اسم التفضيل.

ثالثاً- ﴿**وأهلَها**﴾ لم يكتف الله تعالى بما تقدَّم فزاد قائلا: ﴿وأهلَها﴾، وكأنَّه يقول: هؤلاء هم أهل التقوى.

فإذا سألتهم عن أهل التقوى؟ فهم هؤلاء.

وإذا سألتهم: من أحقُّ بالتقوى؟ فهم هؤلاء.

وإذا سألتهم عمَّن ألزمهم التقوى، لا تنفكُّ عنهم ولا ينفكُّون عنها؟ فهم هؤلاء.

فللَّه ما أعظم هذه الأوصاف.

[الذين هاجروا وجاهدوا من بعد ما فتنوا...]

ويقول الله تعالى في سورة النحل: ﴿**ثمَّ إنَّ ربَّك للذين هاجَروا من بعد ما فُتنوا، ثمَّ جاهدوا وصبروا إنَّ ربَّك من بعدها لغفور رَّحيم**﴾[1]، هذه الآية خاصَّة بالمهاجرين، ﴿**ثمَّ إنَّ ربَّك للذين**﴾ جعل الله تعالى نفسَه لهم، ويبدو لي أنَّ هذا التعبير أقوى وأعظم من المعيَّة في قوله تعالى: ﴿**إنَّ الله مع الذين اتَّقوا والذين هم محسنون**﴾[2]، وإن لم يكن أعظم منه، فهو في درجته؛ وإذا كان الله لهم، فإنَّه يرأف بهم، ويرحمهم، ويحبُّهم، ويعطيهم ما يريدون. فالتعبير باللام غريب في بابه، وانظروا إلى هذه الأوصاف الأربعة، حتَّى نعلم لماذا استحقُّوها:

هاجروا من بعد ما **فُتنوا، ثمَّ جاهدوا و صبروا.**

أوَّل البلاء الفتنةُ التي أصابتهم وهم بمكَّة لـمَّا دخلوا الإسلام، فمكر بهم المشركون، وعذَّبوهم، كما فعلوا ببلال وعمَّار، وآل ياسر، فمنهم من مات في العذاب، ومنهم من تحمَّله حتَّى نجَّاه الله[3]

---

1) - سورة النحل: الآية 110.

2) - سورة النحل: الآية 128.

3) - منهم من مات في العذاب كياسر وسمية رضي الله عنهما، ومنهم من نجَّاه الله كعمَّار بن ياسر وبلال بن رباح رضي الله عنهما.

ومعنى قوله فُتنوا، يفيد أنَّ المشركين فعلوا بهم ما في وُسعهم ليحملوهم على ترك الإسلام، فأبوا.(1)

بعد هذه الفتنة التي تحمَّلوها سنوات في مكَّة، هاجروا وتركوا أموالهم وديارهم وأهلَهم في هذا الوطن العزيز المقدَّس: مكَّة. الذي لا أشرف منه في الدنيا.(2)

ثمَّ جاهدوا: لمَّا هاجروا لم يهاجروا إلى مكان يستريحون فيه، ويعبدون ربَّهم في الظلِّ والرخاء، وإنَّما هاجروا إلى المدينة استعداداً للجهاد، فكانت سرايا، وكانت غزوات، وفي كلّ هذه كانوا صابرين.

فالمحنة أوَّلاً، **والهجرة** ثانيا، **والجهاد** ثالثا، **والصبر** في ذلك الجهاد رابعا. سواء جاءهم من جهة الوقت، كوقعة العسرة؛ أو في وقت فيه شيء من رخاء.

---

1) - مثل بلال رضي الله عنه حينما وضعوا على صدره صخرة كبيرة، ولكنَّه ثبت على دينه بكلمة التوحيد، حتَّى نجَّاه الله من غيض للمشركين.

ابن هشام: **السيرة النبويَّة**، ج1/ص318.

2) - وكان ذلك في زوال يوم الاثنين، لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأوَّل من السنة الثالثة عشر من البعثة.

ينظر: ابن هشام، ن، م، س، ج1/ص590.

ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج1/ص739.

إنَّ ربَّك من بعدها، الضمير يعود إلى هذه المحن المتتالية، والتعبير بقوله: ﴿من بعدها لغفور رحيم﴾، يبيِّن أنَّ هؤلاء بمحنهم هذه المتتالية لا يستحقُّون من الله تعالى إلاَّ المغفرة والرحمة، فكلُّ ما فعلوه مغفور لهم ومسموح.

والتنصيص بقوله: ﴿من بعدها﴾ وقوله: ﴿لغفور رحيم﴾، يدلُّ على كثرة المغفرة وعظمتها، إمَّا لكثرة الذنوب، والله تعالى لا يستكثر ذنوبا فلا يغفرها[1]؛ فإذا كان الإخلاص وكانت التوبة، وكانت أسباب المغفرة متوفِّرة، يغفرها على كثرتها. وإمَّا أن يكون الذنب عظيما فإنَّ الله تعالى لا يتعاظم عنده ذنب، إذا كانت التوبة من بابها المشروع[2]، ونحن في دعائنا نقول: «اللهمَّ إنَّ ذنوبنا قد عظُمت وجلَّت وعفوُك أعظم منها وأجلُّ».[3]

---

1) - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنَّ الله يغفر الذنوب جميعا إنَّه هو الغفور الرحيم﴾ سورة الزمر: الآية 53.

2) - إشارة إلى قول الرسول ﷺ في حديث قدسي عن سعيد بن بن عبيد قال: سمعت بكر بن عبد الله للزني يقول: حدَّثنا أنس بن مالك، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لكَ على ما كان فيك ولا أبالي. يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبُك عنان السماء، ثمَّ استغفرتني غفرتُ لكَ ولا أبالي. يا ابن آدم، إنك إن أتيتني بقِراب الأرض خطايا، ثمَّ لقيتني لا تشركُ بي شيئا لأتيتك بقِرابها مغفرة» قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه. الترميذي: صحيح الترمذي، أبواب الدعاء، باب 98، ج13، ص59.

3) - لم أهتد إلى هذا الحديث في المعجم المفهرس، ولا في صحيح البخاري، ولا في مجمع الزوائد.

فإذا كانت هذه الآية واردة في حقِّ هؤلاء السابقين الأوَّلين، فماذا يبقى لهم من ذنوب يا ترى؟

فالآيات الواردة في فضل الصحابة، وفي توكيد المغفرة لهم، والرضى عنهم كثيرة، حتَّى أنَّه أمرنا بالاستغفار لهم، وجعله من الصفات التي كَلَّف بها من جاء من بعدهم.

بعد كلِّ هذا، كيف يمكن أن يُطلقَ أحدٌ لسانه في هؤلاء الأصحاب رضي الله عنهم، أم أنَّ الله تعالى لا يعرف ما سيفعلون وما سيكون منهم من بعد ذلك؟!.

[فضل العشرة المبشَّرين بالجنَّة]

ومِمَّا يجب أن نعلمه مسبَّقا - قبل الدخول في الكلام على ما وقع بينهم - أنَّ الأصحاب العشرة ومنهم الخلفاء الراشدون، كلُّهم من السابقين الأوَّلين من المهاجرين، فمن هؤلاء العشرة؟

هم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي؛ خلفاء بإجماع الأمَّة ما عدا الرافضة [1] قبَّحهم الله.

---

1) - **الرافضة أو الروافض:** هي فرقة من الشيعة، خرجت عن إمام الزيدية زيد بن علي بن الحسين، وأطلق عليهم اسم الرافضة، لأنَّهم رفضوا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر، وتبرَّأوا منهما.
انظر: الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج1/ص155. شفيق غربال: **الموسوعة العربيَّة الميسَّرة**، ص854.

ثمَّ طلحة[1]، والزبير[2]، وسعد بن أبي وقّاص[3]، وسعيد بن زيد[4]، وأبو عبيدة عامر بن الجرَّاح[5] .

---

1) -هو **طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو (28 ق.هـ – 36 هـ)**: ويكنّى أبا محمَّد، من السابقين الأوّلين إلى الإسلام، ويدعى طلحة الجود، وطلحة الخير، كما كان يدعوه النبيء ﷺ. شهد أحدا وسائر الغزوات، وقتل يوم الجمل ودفن بالبصرة، وروى 38 حديثا.

ينظر: ابن سعد: **طبقات**، ج3/ص214-225.

الزركلي: **الأعلام**، ج3/ص331.

2) -هو **الزبير بن العوَّام بن أسد بن عبد العزَّى (28 ق.هـ – 36 هـ)**: أحد الصحابة الأجلاَّء، والسابقين إلى الإسلام، أسلم وعمره 12 سنة، وهو أوَّل من سلَّ سيفه في الإسلام؛ شهد بدرا وأحدا وغيرها من الغزوات. قتل يوم الجمل بوادي السباع. وله 38 حديثا. وقال عنه النبيء ﷺ: «**إنَّ لكلِّ نبيء حواريا، وحواريي الزبير بن العوام**».

ينظر: طبقات بن سعد: ج3/ص100-114.

أعلام الزركلي: ج3/ص74.

3) - هو **سعد بن مالك بن وهب بن عبد مناف القرشي (23 ق. هـ – 55 هـ)**: صحابي جليل، أسلم وعمره 17 سنة، وشهد بدرا وافتتح القادسية، وهو أوَّل من رمى بسهم في سبيل الله، كان واليا على الكوفة في عهد عمر، ولـمَّا جاء عثمان أقرّه عليها فترة ثمَّ عزله. مات في قصره بالعتيق، وهو من المكثرين، له 271 حديثا.

طبقات بن سعد: ج3/ص137-148 . أعلام الزركلي: ج3/ص137.

4) -هو **سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزَّى أبو الأعور (22 ق. هـ – 51 هـ)**: صحابي جليل، هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلّها، ولاّه أبو عبيدة دمشق، وتوفي بالعقيق، فحمل إلى المدينة ودفن بها، وعمره بضعا وسبعين سنة .

طبقات بن سعد: ج3/ص379-385.

أعلام الزركلي: ج3/ص146.

5) - هو **أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجرَّاح (40 ق. هـ – 18 هـ)**: الصحابي المشهور، شهد المشاهد كلّها، وولاه عمر بن الخطاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشام، ففتح عدَّة بلدان أخرى،

وعبد الرحمن بن عوف.[1] والأمّة كلُّها أجمعت على هؤلاء العشرة، وحتّى العامّة تقول: «أصحاب الرسول عشرة»، لأنّهم هم المبشَّرون بالجنّة، ولأنَّ ما تذكره الآيات من فضلٍ يعمُّ هؤلاء، ولكلٍّ واحد منهم مزايا وفضائل لا تكاد تُعدُّ؛ وقد حكم الله على إيمانهم بأنّه حقٌّ وأنّهم فائزون، وأنّه رضي عنهم، وأنّه تاب عنهم، وأنّه لهم...

والنبيء ﷺ بشَّرهم واحداً واحداً بالجنّة.[2]

ولنستحضر في أذهاننا أنَّ الأصحاب يدخلون دخولاً أوليًّا في كلّ الآيات التي ذكرناها.

حتّى وصل إلى شرق الفرات، وشمال أسيا الصغرى. توفي بالطاعون، ودفن في غوربستان، وعمره 58 سنة. قال فيه رسول الله (ص): «لكلّ نبيء أمين وأميني أبو عبيدة بن الجرّاح».

ينظر: طبقات بن سعد: ج3/ص409-415.

أعلام الزركلي: ج4/ص21.

1) - هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث (44 ق. هـ - 32 هـ): ويكنّى أبا محمّد، من أكابر الصحابة، وهو أحد الستّة من أصحاب الشورى، الذين جعل عمر الخلافة فيهم، شهد بدرا والمشاهد كلّها، واجتمعت له ثروة كبيرة، وأوصى قبل أن يموت بخمسين ألف دينار في سبيل الله، توفي بالمدينة. وله 56 حديثا.

طبقات بن سعد: ج3/ص124-137.

2) - وقد ذكر ثلاثة منهم وهم: أبو بكر وعمر وعثمان في حديث طويل.

انظر: صحيح البخاري، كتاب (66)، فضائل الصحابة، باب (5) قول النبيء (ص): لو كنت متّخذا خليلاً، ج3، رقم 3451.

فقوله تعالى: ﴿والسابقون الأَوَّلون مِن المهاجرين والأَنصار﴾ منهم الأصحاب العشرة.

وقوله: ﴿والذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، والذين ءاوَوْا ونصروا أولئك هم المومنون حقًّا﴾ منهم الأصحاب العشرة.

وقوله: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾[1] منهم الأصحاب العشرة.

وهم أيضًا ضمن مَن بايعوا بيعة الرضوان[2]، وهم كذلك ضمن جيش العُسرة.

[عدد الصحابة وأسماؤهم والكتب المؤلَّفة فيهم]

الصحابة عددهم يتكاثر شيئا فشيئا، خاصَّة بعد صلح الحديبية، ثمَّ بعد فتح مكَّة، وفي كلِّ غزوة كان عدد الصحابة يزيد عن الغزوة

---

1) -سورة الحشر: الآية 8.

2) - إلاَّ عثمان بن عفان ﷺ كان غائبا، وأدّى الرسول ﷺ عنه البيعة.

التي قبلها[1]، حتّى كان حَجَّة الوداع في ذي الحجَّة من السنة العاشرة، حيث حجَّ معه ﷺ مائة ألف أو يزيد.

وكانت قبل ذلك سنة الوفود[2]، حيث كانت وفود العرب، تفد عليه ﷺ لتُعلن الإسلام وتُظهر الولاء[3]، ولكن كم يعلم المسلمون من أسماء الصحابة؟

لقد ألَّف كثير من العلماء في القديم كتباً في ذكر أسماء الصحابة، وتواريخهم، وفضائلهم، مثل:

كتاب "أُسد الغابة في معرفة الصحابة"، في خمـــــس مجلَّدات

---

1) - فمثلا يوم بدر كان عدد المسلمين (314) رجلا، ويوم أحد تضاعف إلى (700)، وفي بيعة الرضوان (1400) رجلا، وفي فتح مكّة (10000) رجل. وانظر هذه الأعداد خلال غزوات الرسول ﷺ وسراياه في كلّ من:

ابن هشام: **السيرة النبويَّة**، كله.

ابن كثير: **السيرة النبويَّة**، كله.

ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج1.

2) -وكان ذلك في السنة التاسعة (9). سيرة بن كثير: ج4/ص76.

3) - ينظر: سيرة بن هشام: ج2/ص559..

سيرة بن كثير: ج4/ص76.

لابن الأثير.[1] وكتاب "الإصابة في معرفة الصحابة" لابن حجر.[2]

وقد احتوت هذه الكتب على المئات منهم وربَّما الآلاف، فهي لا تذكر الصحابة جميعهم، لأنَّ المذكورين فيها هم المشهورون مثل الخلفاء الراشدين، وأمراء الأجناد، وقوَّاد الجيش، ومن تولَّى أمراً من أمور النبيءﷺ، أو أمراً في عهد أبي بكر أو عمر، أو من كانت له قصَّة مع النبيء ﷺ أو روى عنه حديثا أو أحاديث مِمَّن يمرُّ عليهم سند الحديث؛ فهؤلاء هم الذين أرَّخ لهم العلماء، أمَّا عشرات الآلاف الآخرين فلم يُذكروا.

---

1) - **هو المبارك بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الشيباني الجزري (544 - 606هـ)**: ولد ونشأ بجزيرة ابن عمر؛ المحدّث اللغوي، الأصولي، أصيب بالنقرس فبطلت حركت يده، حتّى توفي في إحدى قرى الموصل.

وأهم تآليفه: النهاية، جامع الأصول في أحاديث الرسول.

الزركلي: **الأعلام**، ج6/ص152 .

2) - **هو أحمد بن علي بن محمَّد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر (773-852هـ)**: ولد بعسقلان بفلسطين، كان مولعا بالأدب والشعر، ثمَّ اتجه إلى الحديث. ولي قضاء مصر مرّات ثمَّ اعتزل.

ومن تصانيفه: فتح الباري في شرح صحيح البخاري الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ولسان الميزان، وتقريب التهذيب. وتوفي بمصر عن عمر يناهز 77 سنة.

أعلام الزركلي: ج4/ص171-172.

[بداية الفتن في الأمّة الإسلامية]

ومن هؤلاء العشرة الذين ذكرنا قبل من تولّى الخلافة بعد النبيء ﷺ كأبي بكر رضي الله عنه، الذي دام له الأمر سنتين وأربعة أشهر[1]؛ ثمّ استخلف عمر بن الخطّاب فأجمعت الأمّة عليه، ودام في الحكم عشر سنين وستة أشهر[2]، ثمّ قُتل بيد غلام المغيرة أبي لؤلؤة المجوسي[3] لعنه الله؛ وترك عمر الأمرَ شورى بين ستّة[4] فأجمعوا على عثمان بن

---

1) -انظر : ابن سعد: **طبقات**، بيعة أبي بكر، ج3/ص185.

2) - انظر: طبقات بن سعد: استخلاف عمر رضي الله عنه ، ج3/ص274.

3) - حيث طعنه ثلاث طعنات وطعن معه ثلاثة عشر من المصلّين، فمات منهم ستّة أو سبعة، فنادى عمر بن الخطاب وهو يشير بيده، دونكم الكلب قد قتلني. طبقات بن سعد: ج3/ص340-341.

4) -والستة هم: عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، والزبير بن العوّام، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله. انظر : طبقات بن سعد: ج3/ص340.

ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج1/ص994..

عفّان[1]، حتّى قُتل في فتنة الدار[2]؛ ثمَّ تولّى الخلافة بحقٍّ عليٌّ بن أبي طالب[3]، حتّى قُتل بيد عبد الرحمن بن ملجم.[4]

فهذه الفتن التي ثارت بداية من عهد عثمان، فكانت فتنة الدار التي أودت بحياة الخليفة عثمان؛ ثمَّ كان يوم الجمل[5] بين طلحة والزبير وعائشة أمّ المؤمنين من جهة، والإمام عليّ من جهة أخرى؛ ثمَّ كان يوم صفّين[6] بين الإمام عليّ ومعاوية الذي لم يقبل خلافته، فكان ما كان مِمَّا أراده الله.

---

1)- انظر: طبقات بن سعد: بيعة عثمان بن عفّان رحمه الله، ج3/ص62

2) - قتلوه وهو يقرأ في المصحف، فتقدّمهم محمّد بن أبي بكر، فأخذ بلحيته، ثمَّ طعن جبينه بمشقص في يده، وأخذ كنانة ابن بشر بن عتاب سيفه وقتله، فسال الدم على مصحفه، ومات بداره، وسميت بذلك فتنة الدار.

طبقات بن سعد: ج3/ص72.

3) - وكان ذلك في الغد من يوم قتل عثمان، يوم الجمعة لثاني عشرة ليلة مضت من ذي الحجّة سنة 35هـ، ودامت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر. طبقات بن سعد: ج3/ص31.

4) - قتله وهو خارج من بيته إلى المسجد لصلاة الصبح، فأصابه بسيفه في جبهته، حتّى وصل إلى دماغه، فمات ودفن بالكوفة، في الرحبة، وكان ذلك في سنة 39 للهجرة..

5) - وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة 36 لـمَّا قدم إلى البصرة علي بن أبي طالب فلقي طلحة والزبير وعائشة، وظفر بهم، وقُتل يومئذ طلحة والزبير وثلاثة عشر ألف قتيل. طبقات بن سعد: ج3/ص32.

6) -وكان ذلك في صفر سنة 37 للهجرة، وقتل في المعركة عمّار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت وغيرهما. طبقات بن سعد: ج3/ص32-33.

وا لله تعالى أراد – لحكمة يعلمها هو – أن تثور هذه الفتن، وأن يذهب فيها كثير من أفاضل المسلمين ضحايا.

[موقف المسلمين من الفتن]

فما موقف من جاء بعد هذه الفتن؟

«الفتنة نار لعن ا لله من أوقدها، والفتنة نائمة لعن ا لله من أيقظها»[1]، والفتنة محنة وبلاء يضلُّ فيها الحليم، وترتبك فيها العقول، وتزلُّ فيها الأقدام، وليس من السهل أن نتعرَّف على الأسباب الحقيقيَّة للفتنة وعلى المسؤول عنها.

فما موقف المسلمين عامَّة من هذه الحروب والفتن؟

وما موقفنا نحن – اليوم – الذين جئنا بعدها بقرابة أربعة عشر قرنا، وإلى أن تقوم الساعة؟

إنَّه الأمر الخطير، والموضوع الكبير، نرجو أن يوفّقنا ا لله تعالى إلى بيان وجه الحقّ فيه، معتمدين على ما يحضرنا من الأدلَّة.

---

1) هذا الحديث لم أهتد إليه فيما رجعت إليه من المصادر: **الجامع الصحيح، المعجم المفهرس، صحيح البخاري، مجمع الزوائد... وغيرها.**

وفي هذه المقدّمة، وهذه الفذلكة في فضل الصحابة، وما ورد في حقّهم من آيات، ضوء ينير الطريق أمامنا، والذي سنسلكه في قضية الفتنة بحول الله.

إنَّ الأمر الذي يهمُّنا في معرض حديثنا عمَّا جرى من الفتن بين الصحابة، هي قضية التوبة والمغفرة التي وردت في كثير من الآيات الكريمة، السابق ذكرها.

وفي معناها يقول ابن عبَّاس: «أمر الله تعالى بالاستغفار لأصحاب محمَّد ﷺ وهو يعلم أنَّهم سيُفتنون».(1)

ففي الوقت الذي كان الله تعالى يؤكّد على الرضا عن هؤلاء، خاصَّة على التوبة عليهم، وعلى تكفير ذنوبهم ومغفرته ورحمته لهم، يعلم - وهو علاَّم الغيوب - أنَّهم سيفتنون، وسيقع بينهم ما يقع.

---

1) - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج18/ص33 .

كما أخبرنا بذلك رسوله ﷺ بـ «**أنَّ فتنا كقطع الليل المظلم ستكون بين هذه الأمَّة**»[1]، وسأله أصحابه عن المخرج، فدلَّهم عليه.

فالله تعالى لم يكتف بتأكيد التوبة والمغفرة لهؤلاء، بل زاد وأمر كلَّ من جاء من بعدهم - إلى أن تقوم الساعة - بالاستغفار لهم، وذلك قوله: ﴿**والذين جآؤوا من بعدهم يقولون ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾[2].

يمكن لأحد أن يقول: إنه يدخل في قوله: ﴿**الذين سبقونا بالإيمان**﴾ جميع الأجيال التي تقدَّمتنا ووصلتنا على أيديهم شريعةُ الله وكتابه، لكن الذين يدخلون في الآية دخولا أوَّليا هم الرعيل الأوَّل الذي صحب النبيء ﷺ وسبق إلى الإيمان به، وإلى الهجرة والجهاد

---

1) حدّثني يحي بن أيُّوب وقتيبة وابن حجر جميعا عن إسماعيل بن جعفر، قال ابن أيُّوب: حدّثنا إسماعيل قال: أخبرني العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا، ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يتبع دينه بعرض من الدنيا**».

صحيح مسلم، كتاب (1)، باب (57) الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ج1/ص110، رقم 186.

مسند أحمد بن حنبل، ج1/ص186.

صحيح الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم، ج9/ص49.

2) - سورة الحشر: الآية 10.

معه، وإلى تلقّي القرآن والسنّة عنه، ثمَّ بلّغوها للجيل الذي كان معهم، فهؤلاء طبعا المقصودون أوّلاً، لا أجدادنا وآباؤنا الأقربون، ومن قواعد الشرع الثابتة عدم الاستغفار لمشرك أو لكافر أو لمن يُبرأ منه.[1]

فزيادةً في فضل هؤلاء أراد الله تعالى أن تكون أطباقا من النور تدخل عليهم ما دام على ظهر الأرض مؤمن يذكر الله ويستغفر للذين سبقوه، فإذا قلنا نحن اليوم: ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذي سبقونا بالإيمان؛ فإنَّ الحظَّ الأوفر من هذا الدعاء ينصرف إلى السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار.

جزاء من سبّ الصحابة مبغضا لهم:

وبما أنَّ هذه الآية جاءت بعد ذكر الأقسام الذين يقسَم عليهم الفيء، قال العلماء والمفسّرون: «إنَّ من سبَّ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبِه بغض لأحد منهم، خاصَّة السابقين الأوَّلين، فإنَّه لا حظَّ له في الفيء[2]، لأنَّ الله

---

1) - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ما كان للنبيء والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربى، من بعد ما تبيّن لهم, أنّهم, أصحاب الجحيم﴾ سورة التوبة: الآية 113.

2) - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج18/ص32.

تعالى جعل هذا الحظَّ للذين جاؤوا من بعدهم، مقرونا بشرط وهو الاستغفار لهم، فمن كان لا يستغفر لمن سبقه بالإيمان، أو كان في قلبه بغض لهم، أو كان يسبُّهم، فإنَّه لا يعطى من الفيء.

روي عن الإمام مالك رضي الله عنه قوله: «من كان له في أحد من الصحابة رضي الله عنهم قول سيّء أو بغض فلا حظَّ له في الفيء»[1]. وروي مثل هذا عن الشيخ اطفيَّش في التيسير[2] وعن غيره من الأيمَّة.

ذلك إذن كان حكم الله تعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في كتابه الكريم.

الأحاديث الواردة في فضل الصحابة والنهي عن سبِّهم

وقد وردت عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في فضل الصحابة رضي الله عنهم نذكر منها حديثا رواه أصحاب السنن، وذكره الشيخ اطفيَّش في التيسير. قال رسول الله ﷺ: «**دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ**

---

[1] – ابن العربي: أحكام القرآن، ج4/ص1778.

القطب اطفيَّش: تيسير التفسير، ج6/ص157.

[2] – ابن العربي: أحكام القرآن، ج4/ص1778.

القطب اطفيَّش: تيسير التفسير، ج6/ص157.

أحدهم ولا نصيفه»[1] - وهي من الأحاديث المتّفق عليها بين الأمّة - يعني: اتركوا لي أصحابي، لا تسبُّوهم ولاتمسُّوهم بسوء، فلو أنَّ أحدمكم يكون عنده مثل جبل أحدٍ ذهبا - وجبل أحد جبل عظيم يعرفه كلُّ من زار المدينة - أنفقه في سبيل ا لله، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه.

ويقول ﷺ في حديث آخر: «**ا لله ا لله في أصحابي لا تتّخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبحبّي أحبَّهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى ا لله سبحانه، ومن آذى ا لله يوشك أن يأخذه**»[2].

«ا لله ا لله» يعني: اتّقوا ا لله، اتّقوا ا لله في أصحابي.

---

1) - عن الأعمش قال: سمعت ذكوان يحدّث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبيء ﷺ: «**لا تسبّوا أصحابي، فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه**».

صحيح البخاري، كتاب (66) فضائل الصحابة، باب (5) قول النبيء (ص) لو كنت متّخذا خليلا، ج3/ص1343، رقم 3470.

صحيح مسلم، كتاب (44) فضائل الصحابة، باب (54) تحريم سبّ الصحابة رضي ا لله عنهم، ج4/ص1967، رقم 221.. بلفظ: «... ما أدرك مدّ أحدهم...».

2) - مسند أحمد بن حنبل، ج5/ص54.

المعجم المفهرس، ج3/ص256.

«**لا تتّخذوهم غرضاً بعدي**» : الغرض هو الهدف الذي يرمى إليه، وهو الشيء الذي ينصبه الناس شارة يرمونه بالحجارة أو بالنبل، أو بشيء آخر، إمّا للعبث واللهو واللعب، وإمّا لتعلُّم الرمي.

وقوله غرضا أي ترمونهم، ومن كان يسبُّ أحداً أو يقول فيه فكأنّه يقذفه ويرميه، فيضربه ويجرحه.

«**فمن أحبَّهم فبحبّي أحبَّهم**» :أحبَّهم لأنّهم أصحاب رسول الله ﷺ ، لأنّهم الطائفة الأولى التي سبقت إلى الإسلام والهجرة والنصرة، وهم جلساؤه وحملة الشريعة عنه، وهم الذين وقع عليهم اختيار الله تعالى لصحبه نبيئه، واختيار الله لا يقع صدفة، وإنّما عن قصد وعمدٍ، فكما فضَّل محمَّداً ﷺ على الخلق فضَّل الجماعة التي تلتفُّ من حوله، فتكون أوَّل من يؤمن به، وأوَّل من يصحبه، وأوَّل من يهاجر معه، وأوَّل من يموت في سبيله، وأوَّل من ينقل الدين عنه؛ فهم مختارون منتخبون، وهم خير الأمّة على الإطلاق(1)، وهذه المزية لم تكن لأحد غيرهم.

---

1) - في حديث قال ﷺ «خير هذه الأمّة القرن الذي بعثت أنا فيهم، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم؛ ثمّ يكون قوم تسبق شهادتهم إيمانهم، وإيمانهم شهادتَهم».
مسند أحمد بن حنبل، ج5/ص357.

«**ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم**»، من أبغضهم فقد أبغض رسول الله ﷺ «**ومن آذاهم فقد آذاني...**» .والحديث واضح مفهوم، وقد رواه الشيخ اطفيَّش في التيسير [1] كذلك، وقال: «قيل لعائشة رضي الله عنها: إنَّ أناساً يتناولون الصحابة حتَّى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون! انقطع عنهم العمل، وأحبَّ الله أن لا ينقطع عنهم الأجر». [2]

هذا كلام جميل لعائشة، معناه: إنَّ هؤلاء السابقين الأوَّلين الذين ذهبوا إلى ربِّهم وانقطعت أعمالهم، أحبَّ الله تعالى أن لا ينقطع الأجرُ عنهم، من جهة الذين يسبُّونهم، ومن جهة الذين يستغفرون لهم.

وقد قالت عائشة في حديث آخر: «أُمروا بالاستغفار لأصحاب محمَّد فسبُّوهم». [3]

ثمَّ إنَّ الآيات الكريمة، من قوله تعالى :﴿**للفقراء المهاجرين...والذين جآؤوا من بعدهم...**﴾ دليل على وجوب حبِّ الصحابة، وعلى كفر وضلال من سبَّهم وشتمهم في أيِّ زمان وأيِّ مكان، خاصَّة الطائفة الأولى من السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، وبخاصة أصحاب

---

1) - ج6/ص158.

2) - القطب اطفيش: ن، م، س، ج6/ص158 .

3) - ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج18/ص33.

القطب اطفيش: ن، م، س، ج6/157-158.

بدر، وأصحاب أحد، وأصحاب الخندق أو الأحزاب، وأصحاب الحديبية، وأصحاب خيبر، وأصحاب جيش العسرة أو تبوك، الذين نزل فيهم ما نزل، وقد حكم الله تعالى عليهم بأنَّهم المؤمنون حقًّا، وأنَّ كلمة التقوى لازمة لهم، وأنَّهُم أحقُّ بها وأهلها، تم أكَّد لهم المغفرة في آيات كثيرة.

[قصّة حاطب بن أبي بلتعة]

وأذكر حديثا واحدا في المغفرة كدليل، وهو حديث حاطب بن أبي بلتعة[1].

وهو مِمَّن شهد بدراً ومن السابقين الأوَّلين من المهاجرين؛ وقد ارتكب ذنباً عظيماً، وهو ما يعبَّر عنه اليوم بالخيانة العظمى، التي يحكم على صاحبها بالإعدام شنقا أو رميا بالرصاص.

وذلك أنَّ النبيء ﷺ لمَّا نقضت قريش الهدنة التي عقدت في اتّفاقية صلح الحديبية، عزم على فتح مكّة بإذن من الله تعالى، وكتم الأخبار، ودعا الله[2] أن يأخذ العيون[3] والأخبار عن قريش، حتّى يبغتهم في ديارهم.

---

[1] – قد سبق تعريفه في هامش ص 16.

[2] – قال: «اللهمَّ عمِّ عليهم خبرنا». ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج6/ص260.

[3] – العيون: جمع عين، والعين هو الذي يبعث لتجسّس الخبر، ويسمّى ذا العينين. ابن منظور: لسان العرب، ج54/ص301.

فكان الأمر كذلك، وبدأ النبيء ﷺ في التجهيز، ولم يُعلِم الناس بوجهته إلاَّ الخاصَّة من الصحابة رضي الله عنهم، ووصّاهم بعدم إشاعة الخبر، ولكن حاطبا كتب رسالة إلى قريش، يخبرهم فيها بعزم النبيء ﷺ على غزوهم، وأعطى الرسالة امرأة[1] ظعينة[2] فظفِرتها في ظُفرتها، وخرجت تطلب مكَّة.

---

[1] – هي سارة مولاة أبي عمرو بن صفي بن هشام.

[2] – الظعينة: الجمل يظعن فيه، وهو أيضًا الهودج تكون فيه المرأة وقيل: سميت المرأة ظعينة، لأنَّها تظعن مع زوجها، ولا تسمّى ظعينة إلاَّ وهي في الهودج.
ابن منظور: ن، م، س، ج4/ص271.

ونـزل جـبريل مـن قبـل الله جـلَّ جلالـه يخـبر النـبيء ﷺ بالحادثـة، فأرسـل علـيَّ بـن أبـي طـالب والزبـير بـن العـوَّام[1] في طلـب المـرأة، فأدركاهـا في بعـض الطريـق، في مكـان يسـمَّى "روضـة خـاخ"[2].

طلبـا منهـا الكتـاب فأنكرتـه، وفتَّشـاها تفتيشـاً بسـيطاً فلـم يجـدوا شـيئا، حـتَّى همَّـا بـالرجوع، لكـن الإمـام علـيّ قـال لهـا: «لتخرجـنَّ الكتـاب أو لنجرِّدنَّـك»؛ والـذي دفـع بالإمـام علـيّ كـرَّم الله وجهـه إلى هـذا التهديـد تصديقـه لخـبر النبيء ﷺ أنّ مـع المـرأة كتابـا، وحاشـا الإمـام علـيّ أن يتجـرَّأ علـى عـورة وهـو الكريـم الـذي تعـفُّ نفسـه عـن النظـر إلى عـورة مـن العـورات، وقصَّتـه مـع عمـرو بـن العـاص في صفِّـين مشـهورة، إذ لـمَّا تغلَّـب الإمـام علـيّ على عمـرو وأراد قتلـه، لجـأ عمـرو إلى الخديعـة، وهـو يعلـم أنَّ الإمـام علـيّ حيـيٌّ لا ينظـر إلى عـورة أبـداً، فكشـف لـه عورتـه

---

[1] – وفي رواية أخرى أرسل معهما المقداد، وفي رواية أخرى كذلك أرسل عليا والزبير وأبا مرثد الغنوي، وفي رواية أرسل عليا وعمار بن ياسر، وفي رواية أخرى أرسل عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد.

[2] – روضة خاخ: موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة.

الحموي: **معجم البلدان**، ج3/ص384

فالتفت عليٌّ وأعرض عنه، فنجا عمرو بهذه المذمَّة، حتَّى قال شاعر فيه:

ولا خير في دفع الرذى بمذلَّة كما ردَّها يوماً بسوءته عمرو[1]

وهذه الحادثة تبيِّن لنا كرم نفس الإمام عليٍّ كرماً عجيباً، لا تقبل أن ترى عورة أو تكشف عورة أحدٍ.

وكذا كان حال هذه المرأة لـمَّا وصل الأمر إلى التهديد بالكشف، حلَّت ظفيرتها وأخرجت الكتاب وسلَّمته إيَّاه، فجاء بالمرأة والكتاب إلى النبيء ﷺ فوجد الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بعزم النبيء ﷺ على غزوهم في مكَّة.

ناده النبيء ﷺ فقال له: «**ما حملك على هذا يا حاطب؟**». فقال: «والله يا رسول الله إنِّي لمؤمن بالله ورسوله، ما بدَّلت وما غيَّرتُ، ولكن لي بين ظهرانيهم أهل وولدٌ وليس لي عشيرة، فصانعتهم عليه».

---

[1] – لم أهتد إلى هذه الحادثة، ولا إلى هذا البيت وقائله.

وحاطب بن أبي بلتعة أجنبيٌّ عن مكّة، هاجر إلى المدينة وترك أهله بها، وشارك في غزوة بدر، فخاف على أهله وولده فصانع أهل مكّة علّه يدفعهم لحماية أهله، وهو موقن بانتصار النبيء ﷺ لكنّه خطر له هذا الخاطر فقام بهذا العمل.

وهذا الفعل في حقيقته خيانة عظمى، خاصّة وأنّ النبيء ﷺ كتم الخبر وحجّر إذاعته، ودعا ربّه أن يأخذ العيون والأخبار عن قريش. وكان عمر رضي الله عنه حاضرا بالمجلس فقال: «دعني يا رسول الله أضربُ عنقه، إنّه قد نافق».

فماذا كان جواب رسول الله ﷺ والحكمة في جوابه؟

قال: «**ما يدريك يا عمر لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»(1).

---

1) – تفاصيل هذه القصّة المشهورة مبسوطة في كتب الأحاديث والتفاسير، وانظر مثلا:
صحيح البخاري، كتاب (60) الجهاد، باب (140) الجسوس، ج3/ص1095، رقم 2845.
صحيح مسلم، كتاب (44) فضائل الصحابة، باب (36) فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة، ج4/ص1941، رقم 161

وهنا النكتة المهمَّة، وهنا تُطأطأ الرؤوس: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم.

ما يدريك يا عمر لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر، على هؤلاء الذين قاموا بهذه المعركة الأولى في الإسلام، والتي انتصرت فيها راية الله، وعلت فيها كلمته، وقُتل فيها صناديد المشركين، وكان ما كان.

[مغفرة الله واسعة]

ويكفي في الصحابيِّ أن يقال فيه: إنَّه بدريٌّ.

ولهذا يقول بعض العلماء[1] في هؤلاء: لا تقع ذنوبهم إلاَّ مغفورة، يقع منهم الذنب وهو في حكم الله مغفور، بما قدَّم صاحبُه وبما أخَّر من عمل الخير، وهل في هذا عجب؟!

فهذه الكلمة إذن تفسِّر لنا وعود المغفرة الواردة في قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿**فالذين هاجروا وأُخرجوا من**

القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج18/ص50. القطب اطفيِّش: **تيسير التفسير**، ج6/ص172.

1) - ابن حجر: **فتح الباري**، ج8/ص515.

ديارهم وأوذوا في سبيلي، وقاتلوا وقُتلوا لأكفرنَّ عنهم سيِّئاتهم﴾[1].

السيئات الماضية والآتية، وهذا وعد الله الفعَّال لِما يريد.

وقوله في سورة النحل: **﴿ثمَّ إنَّ ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا ثمَّ جاهدوا وصبروا إنَّ ربك من بعدها لغفور رَّحيم﴾**[2].

والشيء الذي يجعل هذه المغفرة ميزة لهم خاصَّة، هو أنَّ الحكم العامَّ الذي أنزله الله في كتابه في شأن الكفرة الذين أسلموا هو قوله: **﴿قل لّلذين كفروا إن ينتهوا يُغفَر لهم ما قد سلفَ﴾**[3] . وهذا حكم عامٌّ لأنَّ الإسلام جبٌّ لِمَا قبله، وفيهم ورد كذلك: **«من قال لا إلاَّ الله دخل الجنَّة وإن زنى وإن سرق»**[4]، يعني قبلَ قوله: لا إله إلاَّ الله؛ أي في حال

---

[1] – سورة آل عمران: الآية 195.

[2] – سورة النحل : الآية 110.

[3] – سورة الانفال: الآية 38.

[4] – عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من ربي فأخبرني – أو قال – بشّرني أنّه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنّة قلت وإن زنى وإن سرق، قال وإن زنى وإن سرق».

الشـرك، لا كمـا يفهمـه البعـض، ولـو كـان بعـد الإسـلام، لأنَّ الرسـول ﷺ يقـول: في حديثـه: «**لا يزنـي الزانـي حـين يزنـي وهـو مؤمـن، ولا يسـرق السـارق حـين يسـرق وهـو مؤمـن**»(1). فكلمـة: لا إلـه إلاَّ الله، تغفـر مـا تقـدَّم في الكفـر.

صحيح البخاري، كتاب (29) الجنائز، باب (1) في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلاَّ الله، ج1/ص417، رقم 1180.

ورواه كذلك مسلم عن أبي ذر قال: أتيت النبيء ﷺ وهو نائم عليه ثوب أبيض ثمَّ أتيته فإذا هو نائم، ثمَّ أتيته وقد استيقظ، فجلستُ إليه فقال: «**ما من عبد قال لا إله إلاَّ الله ثمَّ مات على ذلك إلاَّ دخل الجنَّة**» قلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**» ثلاثا.

ثمَّ قال في الرابعة: «**على رغم أنف أبي ذرّ**» قال فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر.

صحيح مسلم، كتاب (1) الإيمان، باب (40) من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنَّة ومن مات مشركا دخل النار، ج1/ص94، رقم 154.

وعند الهيثمي: عن أبي الدرداء، وقال في آخر الحديث: «**وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء**». رواه أحمد والبزار، والطبراني في الكبير والأوسط، وإسناد أحمد أصحّ وفيه ابن لهيعة، وقد احتجّ به غير واحد.

مجمع الزوائد، مج1، ص1/ص16.

1) - قال أبو هريرة: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» وكان أبو هريرة

هذا حكم عامٌّ لكلِّ كافر، وما ذكره الله تعالى من المغفرة في شأن السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، هؤلاء الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم من بعد ما فُتنوا ثمَّ قاتلوا وقُتلوا، هو أمرٌ خاصٌّ فوق هذا الحكم العامِّ، والأمر ظاهر.

فمغفرة ما قد سلف تثبت لهم بالإيمان، فبماذا امتازوا إذن؟

امتازوا بما ذكره الله من الرضا عنهم، وبحقيقة الإيمان، وبلزوم التقوى، وبأهليتهم لها، ثمَّ الرضا عنهم، والمغفرة لهم أخيراً، ثمَّ لم يكتف بهذا حتَّى أمر الذين يجيئون من بعدهم أن يستغفروا لهم.

يلحق بهنَّ: «ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن».

صحيح مسلم، كتاب (1) الإيمان، باب (24) بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبسين بالمعصية على إرادة نفي كماله، ج1/ص76، رقم 100.

وفي صحيح البخاري مثله بتقديم شرب الخمر على السرقة، كتاب (51) المظالم، باب (31) النهب بغير إذن صاحبه، ج2/ص875، رقم 2342..

وانظر: المعجم المفهرس، ج2/ص456: ترمذي، إيمان باب (11). النسائي، أشربة باب (42). ابن ماجه، فتن باب (3). الدارمي، أشربة باب (11). أحمد بن حنبل، ج2/ص139.

وقد يتساءل أحد فيقول: كيف يغفر لهم ما تقدَّم من ذنوبهم؟

أوَّلاً: الله تعالى - وهو خالقهم - أنزل فيهم حكمه بالمغفرة، وهو يعلم أنَّهم سيفتنون، ويعلم أنَّهم سيتوبون، كما يعلم عذرهم في اجتهادهم، وهذا مِمَّا استأثر الله بعلمه.

ثانيا: أوَلَم يرد عن النبيء ﷺ قوله: «**صوم عرفة يكفِّر سنة ماضية وسنة آتية**»(*). وتُقبِّل الحديث بقبول حسن، حتَّى قال بعض: ما كنَّا نرغب في صوم عرفة، حتَّى قال النبيء: «**يكفِّر سنة قبله وسنة بعده**»؛ ونحن نعلم وندرس أنَّ صوم عرفة يكفِّر سنة ماضية وسنة آتية، ولا نقول: لماذا يغفر الله ما يأتي من الذنب؟!

سبحان الله، أليس الأمر بيد الله!. فإمَّا أن يعصمك فلا تقع في شيء، وإمَّا أن تبتلى بشيء فيوفِّقك إلى التوبة إذا كانت المعصية كبيرة، وأمَّا إذا كانت صغيرة فإنها تُغفر بالحسناتِ:

(*) - ينظر تخريجه في موسوعة الحديث الشريف (48000 حديث) للعالمية، البحث تحت مادة "صوم عرفة" و"صيام عرفة"، ومنها: سنن الترمذي، صوم 698. النسائي، الصيام 2341. أحمد، باقي مسند الأنصار 21492... وغيرها.

﴿**إنَّ الحسنات يُذهبن السيِّئات**﴾[1]، فليس لعبد أن يقول: لماذا؟ أو كيف هذا؟ والمخبر رسول الله عن الله، والأمر كلُّه لله.

وكذلك قول النبيء ﷺ: «**ما يدريك يا عمر لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[2].

إذن لا تقع ذنوبهم إلاَّ مغفورة، ولا بدَّ أن نشدَّ أيدينا بهذا حتَّى نزيل الشبه والشكوك، وحتى لا يقول أحد: كيف يكون هذا؟

وما لنا نتساءل أو نحار في الأمر؟ والله تعالى يقول لنبيئه في أوَّل سورة الفتح: ﴿**بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ إنَّا فتحنا لكَ فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر**﴾[3].

أليس هذا من أظهر الأدلَّة على أنَّ الله تعالى يضمن المغفرة لمن شاء من عباده فيما يستقبل من أمره؟

---

[1] – سورة هود: الآية 114.

[2] – سبق تخريجه في قصَّة حاطب بن أبي بلتعة في هامش رقم 09 ص 16

[3] – الآيات 1-2 سورة التوبة

يقول الشيخ أبو نصر في نونيته:

أحبُّ أناساً لم تضرُّهم ذنوبهم وأبغض قوماً عندنا هم ذوو حسن[1]

[ولاية الله وبراءته لا يتبدَّلان]

محبَّة الله تعالى لأوليائه، وبغضه لأعدائه لا يتبدَّلان، فهو تعالى لا يحبُّ وليه وقت الطاعة، ويبغضه في الوقت الذي يبتلى فيه بشيء[2]؛ أمَّا نحن البشر فالولاية عندنا والعداوة تتغيَّران، فقد توالي إنسانا اليوم وتدعو له بالخير، ولكن بعد ذلك ينقلب على عقبيه، فيرتكب ما يرتكب من الكبائر و لم يتب منها، فتبرأ منه وتعاديه، ثمَّ بعد ذلك يتوب وينيب، ويتنصَّل مِمَّا عليه من تبعات للخالق أو المخلوق، فتتولاَّه[3].

---

[1] – أبو نصر: متن النونية، تحت عنوان: التوفيق والخذلان، ص16. البيت الخامس. ومكان "أناسا" "عبادا".

[2] – إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ألا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنونَ الذين ءامنوا وكانوا يتّقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ سورة يونس: 62-64.

[3] – الولاية والبراءة من الأصول الكبرى للمذهب الإباضي، وبهما يستقيم أبناء للمذهب.

وقد ينتقل الانسان من ولاية إلى براءة، أو من براءة إلى ولاية مرّات في عمره، في علمنا القاصر، الذي لا يطّلع ولا يتطاول إلى الغيب، لكن ولاية الله تعالى لأوليائه وعداوته لأعدائه لا تتبدّل، لأنّها مبنية على علمه القطعي بهم، فهو خالقهم، وهو الذي قضى وقدّر كلّ ما يصدر منهم من حسنات أو سيّئات، وقد كتب السعيد من بطن أمّه والشقي من بطن أمّه[1]، وما يبدّل القول لديه.

فالوليُّ وليٌّ مهما تقلّبت به الأحوال، لا يموت إلاّ مسلما مؤمنا موفيا، صادقا على الصراط المستقيم.

وعدوُّ الله الذي سبقت له الشقاوة شقيٌّ في علم الله، مهما تقلّبت به الأحوال، لا يموت إلاّ كافراً.

انظر مثلا: الجيطالي: **قواعد الإسلام**، ج1/ص45. الباب الثاني من الركن الأوّل في الولاية والبراءة وأحكامها.

[1] – إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**يوم ياتي لا تكلّم نفس إلاّ بإذنه فمنهم شقي وسعيد**﴾ سورة هود: الآية 105.

[العبرة بالخاتمة]

وفي هذا يقول النبيء ﷺ فيما معناه: «**إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنَّة، حتَّى لا يكون بينها وبينه إلاَّ ذراع فيسبق عليه القلم، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها؛ وإنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتَّى لا يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيسبق عليه القلم، فيعمل بعمل أهل الجنَّة فيدخلها**»[1].

وفي التاريخ وأخبار السيرة أمثلة من هؤلاء، منهم الصحابي[2] الذي أسلم في صدر النهار والمسلمون في حرب،

---

[1] – ينظر تخريجه في **موسوعة الحديث الشريف** (*48000 h.d.rom* حديث) للعالمية، البحث تحت مادة " إن الرجل ليعمل"، ومنها: **صحيح البخاري**، بدء الخلق *6969*، أحاديث الأنبياء *3085*؛ والقدر *6105*. **صحيح مسلم**، *4781*، *4782*. **الترمذي**، القدر *6063*. **أبو داود**، السنة *4085*. **ابن ماجه**، المقدمة *73*. **أحمد بن حنبل**، مسند المكثرين *3738*.

ووجدت في كلّ ما رجعت إليه من الروايات عوض «...**يسبق عليه القلم...**» «...**يسبق عليه الكتاب...**» وانظر مثلا: **صحيح البخاري**، كتاب (*85*) القدر، ج*6*/*2433*، رقم *6221*.

[2] – **هو عمرو بن ثابت بن وقش**: وهو من الأنصار، ويقال له الأصيرم، وهو من بني عبد الأشهل، أسلم يوم أحد، وأخذ سيفه فقاتل حتَّى قتل، ولم يصلّ لله ركعة، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إنه لمن أهل الجنَّة**».

ابن هشام: **السيرة النبويَّة**، ج*2*/ص*90*.

فخاضها معهم، وقُتل قبل الظهر فمات شهيداً، وذهب إلى الجنَّة مغفورا له، ولم يصلِّ لله تعالى أيَّ ركعة، لأنَّ الله سبحانه يعلم منه صدق إيمانه وصدق جهاده، وقد بذل نفسه رخيصة في سبيل الله كفَّارة لِما مضى منه، وهل هناك أغلى من الروح يبذلها المرء في سبيل الله؟

قد يستقلُّ أحدنا عمل هذا الصحابي، فيقول: كيف يدخل الجنَّة على ضحوة من الإيمان؟

ولكن أليس الله تعالى يقول: ﴿**إنَّ الله اشترى من المومنين أنفسَهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة**﴾[1]. فالله تعالى باع الجنَّة واشتراها هذا بنفسه، فمن بذل نفسه وماله في سبيل الله فقد ربح البيع. فأين أعمالنا نحن بالنسبة لهؤلاء الذين بذلوا أرواحهم في سبيل الله، حتَّى ولو قضى أحدنا أربعين أو خمسين سنة وهو يعبد، فإنها لا توازي غدوة أو روحة في سبيل الله.

وأورده كذلك صاحب القواعد تحت اسم عمرو بن أفيش. الجيطالي: **قواعد الإسلام**، ج1/ص50 (هامش).

[1] – سورة التوبة: الآية 111.

ذكرتُ هذا حتّى لا يستقلَّ أحدٌ عمل هذا الصحابي، الذي أسلم في الصباح ودخل الجنَّة في المساء، فيقول: إنَّه أخذ الجنَّة مجَّاناً.

لا، ليست الجنَّة رخيصة، ولم يأخذها مجَّاناً، وإنَّما بذل فيها روحه، وبذل قبل روحه أهله وماله وأولاده الذين تركهم بعده، فلم تمنعه زوجة جميلة، ولا ولد بارٌّ، ولا دار فخمة، ولا أيَّ شيء آخر من الدخول في هذه المعمعة طلبا للشهادة، فمات واستشهد، كذلك يفعل الله بالذين سبقت لهم كلمته بأنَّهم سعداء[1] من أهل الجنَّة.

وعكس هذا رجل[2] كان يجاهد في صفوف المسلمين، فأخبر عنه النبيء ﷺ بعضَ أصحابه بأنَّه من أهل النار، اهتمَّ لهذا الأمر أحد الصحابة، فجعله نصب عينيه، يتتبَّعه ليرى ما سيكون مآله ومصيره، فأصيب في المعركة بجرح كبير، فخرَّ

---

[1] – إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منَّا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ سورة الأنبياء: الآية 101.

[2] – هو قزمان الظفري: نسبة إلى بني ظفر، بطن من الأنصار، وكان يكنّى أبا الغيذاق، وقد ورد فيه حديث طويل عن رسول الله ﷺ. وانظر نص الحديث وشرحه عند ابن حجر: فتح الباري، ج7/ص378-381. وابن هشام: السيرة النبويَّة، ج2/ص88.

جريحا وأخرج من كنانته سهما قطع به عرقاً في ذراعه، فانتحر بهذه الطريقة لـمَّا اشتدَّ عليه الألم.

جاء الصحابي إلى النبيء ﷺ فأخبره بما صنع ذلك الرجل، فقال لهم: «ألم أقل لكم إنِّي رسول الله»(1)، فهذا الذي كان في الظاهر يقاتل إلى آخر لحظة مع المسلمين، لكن الله تعالى يعلم ما في قلبه، هل يقاتل حمية أو عصبية أو إعلاء لكلمة الله؟

وقد سئل النبيء ﷺ عن الرجل يقاتل حمية أو شجاعة... فأيهم في سبيل الله، فقال كلمته المشهورة المدوِّية والمدوَّنة في صحاح الحديث: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» (2). ولنتيقَّن ولنعتقد كلَّ الاعتقاد أنَّ ولاية الله وعداوته لا تتبدَّلان ولا تتحوَّلان.

---

1) – لم أجده بهذا اللفظ في كامل القصّة مع طولها، عند ابن حجر وعند ابن هشام، ولعلّ الرسول ﷺ قاله بلسان الحال لا بلسان المقال.

2) – صحيح البخاري، كتاب (3) العلم، باب (45) من سأل وهو قائم عالما جالسا، ج1/ص58، رقم 123. سنن أبو داود، كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ج3/ص14،

فهؤلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأكّد توبته ومغفرته لهم، بتأكيدات عديدة لا غرابة أن يقال فيهم: لا تقع ذنوبهم إلاّ مغفورة.

[استحقاق الصحابة للجزاء الرباني]

ونحن إذا نظرنا إلى فضل هؤلاء وتضحياتهم، والامتحانات التي امتحنوا بها، والفتن التي ابتلوا بها في عهد النبيء ﷺ، وما تحمّلوه، فإنّهم يستحقّون هذا وأكثر من هذا، ولا شيء أعظم من رضا الله.

يقول الشيخ رشيد رضا في معرض تفسيره لآية براءة التي أشرنا إليها: «وهذه الآية نصٌّ في أنَّ الطبقات الثلاثة من السابقين الأوَّلين، والذين اتّبعوهم في الإيمان والهجرة والجهاد، عندما أبيحت الهجرة، وتيسّرت أسبابها بصلح الحديبية، قد فازوا كلّهم برضا الله ووعده بالجنّة، وأنّه ليس فيهم أحد من المنافقين...» إلى أن يقول:

2577. سنن النسائي، كتاب الجهاد، بابٌ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، مج3، ج6/ص23.

«وجملة القول أنَّ جميع أفراد هذه الطبقات الثلاث قد جازوا القنطرة - قنطرة الامتحان - وجازوا الصراط، ولم يعد هنالك ما يؤثر في كمال إيمانهم، لأنَّ نورهم يمحو كلَّ ظلمة تطرأ على أحدهم بإلمامه بذنب...» [1].

و لله ما أعجب هذه العبارة، وهي تفسير لقول النبيء ﷺ: «**ما يدريك يا عمر لعلَّ ا لله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**».

والكلام دائما منصبٌّ على هذه الطبقات الثلاث المنصوص عليها، لا الذين ارتدُّوا في زمن أبي بكر بعد وفاة النبيء ﷺ، فقالوا: أمَّا الصلاة فنصلّي وأمَّا الزكاة فلا نجعل في أموالنا شركاء، فحاربهم أبو بكر في حروب الردَّة[2]، منهم من قتل ومنهم من تاب، وهؤلاء غير معنيين في كلامنا، وليسوا داخلين في الطبقات الثلاث الذين وردت في حقّهم آيات كريمات، فارعوا لها انتباهكم إذا كنتم تقرؤون كتاب ا لله.

---

[1] - تفسير المنار، ج11/ص17.

[2] - انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج1/ص866.

من الغريب حقًّا أنَّ هذه الفتن التي سنشير إليها، ونبين موقفنا منها وقعت في زمن السابقين الأوَّلين من المهاجرين في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفَّان وقعت الفتنة الكبرى فتنة الدار[1]، أوَّل فتنة في الإسلام، والتي أودت بحياة الإمام عثمان فقُتل والمصحف بين يديه، حتَّى سالت دماؤه عليه، والمصحف لا يزال إلى اليوم في بعض المتاحف الشرقية.

ثمَّ فتنة الجمل[2]، ثمَّ فتنة صفين[3]، وأكبر الرؤساء في هذه الفتن هم: الإمام عثمان في فتنة الدار، والإمام عليّ وطلحة والزبير وعائشة ﵂ في فتنة الجمل، وهم من العشرة المبشَّرين بالجنَّة.

فمن يبلغ درجة عثمان، أو عليٍّ، أو طلحة، أو الزبير، أو عائشة أمّ المؤمنين ﵂ جميعا؟!.

---

[1] – تقدّم ذكر تفاصيلها ص ٨٨..

[2] – تقدّم ذكر تفاصيلها كذلك ص ٨٨..

[3] – تقدّم ذكر تفاصيلها كذلك ص ٨٨..

فكلامنا على الفتن التي وقعت بين هؤلاء السابقين الأوَّلين، وهم شهود حاضرون، لا على أهل الردَّة أو غيرهم.

تلك الفتن الكبرى التي بلبلت أفكار المسلمين، وجعلتهم في حيرة من أمرهم، حتَّى كان بعضهم يسبُّ بعضا إلى يوم الدين، ولم ينج من هذا حتَّى الخليفة أبو بكر الذي تسبُّه الرافضة[1] على زعمهم أنَّه اغتصب الخلافة من عليٍّ - ولا تزال هذه الطائفة إلى اليوم -، ولم يسلم من هذا السبِّ عمر، ولاعائشة رضي الله عنها.

وللمناسبة أذكر حادثة[2] وقعت هنا في القرارة، أمام سمعي وبصري وأنا تلميذ: فقبل الحرب العالمية الأولى التي اندلعت في سنة 1914م، زار القرارة شخصية بارزة من العجم، وأظنُّه أميرا من الأمراء، جاء ضيفا موفداً عن طريق الحكومة الفرنسية، وكان قائدُ البلد آنذاك هو جدِّي من أمِّي المسمَّى

---

[1] - تقدّم تعريفهم في هامش ص35

[2] - ذكرت هذه الحادثة لفضيلة الشيخ عدون حفظه الله فقال: «مرّت عليّ هذه الحادثة من كلام الشيخ بيوض، ولكن لم أتذكّرها، ولم أكن حاضرا فيها». لقاء خاص بالشيخ عدون بداره أوائل مارس 1996م.

قائد كاسي[1]، فأمر بالاحتفال بهذا الضيف العجميّ. واجتمع العزّابة[2] وأعيان البلد في دار القراءة لإمام المسجد الحاج إبراهيم بن كاسي[3]، وكنت أنا خادما للشيخ الحاج عمر بن يحي[4]، فصحبني معه واستفدتُ فوائد كثيرة، امتلأت الدارُ

---

1) – هو كاسي بن بهون بن ناصر أولاد بهون: ولد في غرداية ونشأ فيها وورث الذكاء وحسن التدبير، ولمّا صار شابا انتقل إلى القرارة واستقرّ فيها، وتولّى رئاستها بعد مقتل أخيه لأبيه إبراهيم بن بهون من عام 1293هـ إلى 1333هـ/1915م. مدّة أربعين عاما. قال فيه الحاج بكير العنق زعيم النهضة: «القائد كاسي، إنّه لذهائه واقتداره على الرئاسة وتصريف الأمور، لا يليق أن يكون حاكما لمدينة صغيرة، ولكن لدولة كبيرة»

دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1/ص132.

جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية،

2) – للتوسّع في مفهوم العزّابة انظر: أبو زكرياء: سير أبي زكرياء، ص254.

د/محمد ناصر: حلقة العزّابة، ص3.

3) – هو حميد أوجانة الحاج إبراهيم بن كاسي (ت: 1921م): من تلاميذ القطب اطفيّش، هو إمام مسجد القرارة لمدة، كان رحلا صالحا ورعا، وهو جدّ الإمام الحالي محمّد بن الحاج أحمد.

الشيخ عدون: كتاب معهد الحياة.

جمعية التراث: ن، م، س، ج2/ص40، ترجمة رقم 050.

4) – هو الشيخ الحاج عمر بن يحي بن إبراهيم المليكي (1858– 1921م): من زعماء الحركة الإصلاحيّة في القرارة، وهو شيخ الإمام بيُّوض إبراهيم بن عمر، وكان صاحب معهد قرآني يعرف بمعهد الحاج عمر بن يحي.

بالحضور، فجاء هذا الضيف وهو ضخم الجثّة طويل القامة كبير الهامة، ذو وجه مشرب بحمرةٍ، وهو يلبس قفطاناً كبيراً؛ وأديرت كؤوسُ الشايِ والناس كأنَّ على رؤوسهم الطير، وأحد الحضور يلقي خطاب الترحيب، فجرى على لسانه ذكر عائشة، وبمجرَّد أن سمع هذا الضيف كلمة عائشة، حتّى قال بصوت خشنٍ ضخم كضخامة جثّته: «لعنها ا لله»، وجمَ الناس والخطيبُ و لم يزد كلمة، فخرجت في التوِّ جماعةٌ من الدار قاصدة القائد فقالت: له: «إمَّا أن يرحل هذا الرجل الآن وإلاَّ فقد يكون ما لا تحمد عقباه». وكان الأمر كذلك، فرحِّل في الوقت.

هذا ما وقع بمشهدي ومحضري وسماع أذني، وأنا الآن أتخيَّل هذا المشهد، وهذا الشخص لعنه ا لله هو. وكيف انطلقت الكلمة من صدره بطريقة آلية، بمجرَّد أن سمع كلمة عائشة!.

ولنعد إلى ما نحن فيه،

وللتوسّع في شخصيته انظر دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة**، ج2/ص162-207.

د/محمد ناصر بوحجام: **حياة الشيخين**.

جمعية التراث: **معجم أعلام الإباضية**، ج5/ص550 ترجمة رقم 752.

تُرى ما موقفنا نحن فيما شجر بين الصحابة؟

ماذا نعتقد فيهم، وقد قتلوا بعضهم ووقع ما وقع؟

أوَّلاً: إنَّ الله تعالى لم يكلّفنا أن نحكم بينهم[1].

ثانياً: لسنا مسؤولين عمَّا شجر بينهم.

فلن يستطيع اليوم أحدٌ أن يقول: «إنَّ الواجب على المسلمين أن يبحثوا في تلك الفتن، حتَّى يعلموا المحقَّ من المبطل والظالم من المظلوم».

بل ينطبق علينا كلُّنا قوله تعالى: ﴿**تلكَ أمَّة قد خلَت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عمَّا كانوا يعملون**﴾[2].

قد نقرأ أخبار هذه الفتن، ولكن بشرط أن نكفَّ ألسنتنا عن السبِّ والشتم لأيٍّ كان منهم، وإذا نحن قرأنا أخبارهم فما الذي يوجب علينا أن نحكم بينهم، فنتولَّى من نتولَّى، ونتبرَّأ مِمَّن نتبرَّأ.؟!

---

[1] – بل الله يحكم بينهم كما أخبرنا بذلك في كتابه بقوله: ﴿**قل اللهمَّ فاطر السموات والارض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ سورة الزمر: الآية 46.

[2] – سورة البقرة: الآية 141.

لا موجب لهـذا أبـداً، وإلاَّ فهـل جدَّاتنـا وأمَّهاتنـا، وبناتنـا، يعرفن من هـذا شيئا؟

وهـل الملايـين والملايـين مـن عامـة المسـلمين - منـذ ذلـك العهد - يعرفون من هـذا شيئاً؟

لايعـرف هـذه الأشـياء إلاَّ الدارسـون لكتـب التـاريخ، ولا أحـد يجـرأ أن يقـول لنـا: «عليكـم أن تتـبرَّأوا مـن فـلان، أو أن تتولَّوا فلانـاً»، ومـن قـال هـذا فكلامـه بـاطل مـردود عليـه، لأنَّ هـذا أمـرٌ يتعلَّـق بكـلِّ شـخصٍ بمفـرده، ومـن اقتحـم هـذا الميـدان، فليتحمَّـل وزره ومغامرتـه، إمـَّا في النـار أو في الجنَّـة، إذن عـدم الخـوض والوقـوفُ في هـذا أولى وأسلم، وقـد رأينـا في فتنـة الـدار - الـتي أودت بحيـاة الإمـام عثمـان بـن عفَّـانرضي الله عنه - كثـيرا مـن الصحابـة لزمـوا الحيـاد، و لم يدخلـوا في أحـد الصفَّـين، لـمَّا اشـتبه عليهم الأمـر، وذلـك واجبهـم.

فهـؤلاء أصحـاب رسـول ا لله ﷺ المبشَّـرون بالجـنَّة، وهـذه عائشـة أمُّ المؤمنـين، وقـع بينهـم مـا وقـع، فـإلى أيِّ صـفٍّ ننحـاز، أإلى هـذا أم إلى ذاك؟ قبضـوا أيديهـم ولزمـوا بيوتهـم، وكفُّـوا

ألسنتهم، حتّى لقوا ربَّهم، منهم: أبو هريرة، ومحمَّد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر بن الخطّاب، وغيرهم.

ومن الغريب أن ينكر عليهم بعض هذا الوقوف، وهو واجبهم أمام هذه الفتن، التي وصفها الرسول ﷺ بأنَّها «**كقطع الليل المظلم**»[1].

فإذا كان هذا موقف بعض الصحابة، زمان هذه الفتن، يوم وقوعها، أنأتي نحن من بعدهم بعد مئات السنين، فنخبّ[2] ونضع هذه المسألة؟

فالواجب إذن هو عدم الخوض، ومن قرأ شيئا أو اطّلع على شيء في هذه المسألة، فليكِل الأمر إلى الله، وليرضَ عن هؤلاء السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار الذين رضي الله عنهم، وليقل: ﴿**ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين ءامنُوا**﴾[3].

---

[1] – حديث سبق تخريجه هامش ص: 45.

[2] – خبّ النبات إذا طال وارتفع، فنخبّ أي فنرفع .

[3] – سورة الحشر: الآية 10.

وقد سئل بعض السلف من العلماء[1] عن فتنة الصحابة، فأجابوا بقولهم: ﴿**تلكَ أمَّة قد خلَت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عمَّا كانوا يعملون**﴾.

وا لله تعالى لم يكلف أحدا من عباده أبدا في الحكم عن هذه الفتنة، بل رضى عمَّن رضي ا لله عنهم.

وإلاَّ فلو كان هذا واقعا لكان أكثر المسلمين ضالّين، من النساء خاصَّة وأغلب الرجال، وربَّما في كلِّ مائة ألف تجد واحدا يقتحم هذا الميدان، فيحكم ويخطّئ ويصوِّب، فمن أجابنا بقوله: ﴿**تلك أمَّة قد خلت...**﴾. لا يمكن لنا أن نردَّ عليه، لأنَّه لا يوجد في قرآن أو سنَّة الأمر بالحكم على أولئك الصحابة؛ بل نجد الكفَّ عنهم وارداً في قوله ﷺ: «**ذروا لي أصحابي، لا تتَّخذوهم غرضاً بعدي**»[2] وقوله عليه السلام: «**ا لله ا للهَ في أصحابي، لا تتَّخذوهم غرضا بعدي**»[3]. فهذا

---

[1] – ذكر القرطبي هذه المعلومة في تفسير سورة الحجرات، وانظر: **الجامع لأحكام القرآن**، ج16/ص322 .

[2] – تقدّم تخريجه في هامش ص 48

[3] – تقدّم تخريجه كذلك في هامش ص 48.

حمى، من اقترب منه خاف على نفسه، وقال آخر: «إنَّ سبيلَ ما جرى بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف مع يوسف، ثمَّ إنَّهم لم يخرجوا بذلك عن الولاية والنبوءة، وكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة»[1].

وهذا مثال جميل.

إنَّ الله تعالى قصَّ علينا في القرآن قصَّة يوسف مع إخوته[2]، ومكرهِم به، وكيف ألقوه في الجبِّ، بعد أن عزموا على قتله، وكيف بِيع بيْع العبيد بثمن بخسٍ، وكيف كذبوا على أبيهم، وجاؤوا على قميصه بدم كذب، ولمَّا سألهم أبوهم عن يوسف قالوا له: ﴿**أكله الذيب**﴾[3]، مسكين هذا الذئب الذي ظلموه، فصار مثلا جاريا، يقال: «فلانٌ بريء من كذا براءة الذئب من دم ابن يعقوب».

---

[1] – هو ابن فورك. وانظر جامع القرطبي: ج16/ص322.

[2] – انظر تفسير سورة يوسف في:

القطب اطفيِّش: **تيسير التفسير**، ج6. (ط. عمان)

سيِّد قطب: **في ظلال القرآن**، ج13.

[3] – سورة يوسف: الآية 17.

ودام الأمر زماناً ويوسف في مصر، وحدث ما حدثَ من دخوله السجنَ، ثمَّ خروجه منه، وتولّيه منصب وزارة المالية، وكانت في يده خزائن مصر، وكان ما كان بينه وبين إخوته، ثمَّ الحيلة التي استعملها لأخذ أخيه، حتَّى قال إخوته: ﴿**إن يسرِق فقد سرَق أخٌ له من قبل**﴾[1]. كلّ هذه المدَّة ويعقوب معذَّب الضمير لفقد ابنيه، حتَّى ذهبت عيناه من الهمِّ، وحتى قال له أولاده: ﴿**تا لله تفتأ تذكرُ يوسفَ حتَّى تكون حرضاً أو تكونَ من الهالكينَ**﴾[2]. ويعقوب ابيضَّت عيناه بأعمال قام بها أبناؤه، وإنَّ المرء ليعجَب حقًّا من هذه الأعمال، فيقول: «أين حقُّ الوالد، مكروا بأخيهم، وعصوا أباهم، وحمَّلوه ما لا يطيق من الهمِّ والحزَن، حتَّى ذهبت عيناه».

وإنها حقًّا لفتنة كبرى، ولكن لم تفقدهم رضا الله وولايته ونبوَّتهم كما ذهب إلى هذا كثيرون.

إذن صدق هذا الذي شبَّه ما وقع بين الصحابة بما وقع بين إخوة يوسف.

---

[1] – سورة يوسف: الآية 77.

[2] – سورة يوسف: الآية 85.

والذي يحملنا على الوقوف[1] أيضًا مقولة الحسن البصري[2] سيِّد التابعين، أدرك خمسمائة صحابيٍّ، وهو صديق حميم للإمام جابر بن زيد التابعيّ الشهير[3]، والحسن البصري ومقامه في الإسلام معروف، فتنبَّهوا إلى مقولته وقد سئل: «ماذا تقول في قتال الصحابة؟» قال: «قتال شهده أصحاب محمَّد ﷺ وغِبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتَّبعنا، واختلفوا فوقفنا»[4].

---

1) – الوقوف: يعني أننا نقف عن إبداء أي رأي أو إصدار أي حكم في الصحابة سواء بالتصويب أو التخطيء أو الولاية أو البراءة، لأننا لم نشهد ولم نعلم علم اليقين بما وقع بينهم، وهذا أحوط للمؤمن الذي يتَّقي الشبهات.

2) – هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (642 - 728م) تابعي مشهور، كان إمام أهل البصرة، ومن كبار العلماء الفقهاء الفصحاء، ولد بالمدينة، استكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، ولا يخاف في الحق لومة لائم، توفي بالبصرة، وله أقوال مأثورة وكلمات سائرة.

انظر: ابن سعد: **طبقات**، ج7/ص156-178.

الزركلي: **الأعلام**، ج2/ص242..

3) – وانظر في تعريفه: جمعية التراث: **معجم أعلام الإباضية**، ج3/ص215، رقم 274. وبه قائمة مطوّلة من مصادر تعريفه.

4) – القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج16/ص322.

كلمات ذهبية حقيقة تكتَب بماء الذهب، قال: هذا قتال شهده الصحابة و لم نحضره، علموا أسباب هذا التقاتل، وكيف نشأ، ولماذا نشأ، وعلى ما اعتمدوا عليه، وجهلنا. اجتمعوا على أحكام من الشريعة، وروايات رووها وأجمعوا عليها، فاتَّبعناهم، واختلفوا فتقاتلوا فوقفنا.

فلنكفَّ ألسنتنا وأيدينا.

قال الحارث المحاسبي[1] بعد نقله لكلام الحسن البصري: «ونحن نقول كما قال الحسن، ونعلم أنَّ القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منَّا، نتَّبع ما اجتمعوا عليه، ونقف فيما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأيا منَّا، ونعلم أنَّهم اجتهدوا، وأرادوا الله عزَّ وجلَّ، إذ كانوا غير متَّهمين في الدين، ونسأل الله التوفيق»[2].

قال المحاسبي: نعلم أنَّ القوم أعلم بما دخلوا فيه، ومن ذا الذي يستطيع أن يقول: «أنا أعلم بحقيقة الأمر منهم»؛ فما

---

[1] – هو الحارث بن أسد المحاسبي (ت: 243هـ): ويكنّى أبا عبد الله، من أكابر الصوفية، عالم بالأصول والمعاملات، ولد بالبصرة، ونشأ بها، وله تصانيف منها: آداب النفوس، الرعاية لحقوق الله. توفي ببغداد.

الزركلي: الأعلام، ج2/ص153.

[2] – القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج16/ص322.

جاؤوا به من سنّة ودين نقلوه عن النبيء ﷺ، نقبله لأنّهم عدول، وما اختلفوا فيه - والمراد القتال الذي كان بينهم - نتوقّف فيه، ولا نبتدع رأيا منّا، ولا نقول شيئا فيما لم نحضره؛ وقديما قيل: «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»، بل الشاهد أحياناً قد تلتبس عليه الأمور.

ونعلم أنّهم كانوا غيورين على الدين، وأنّهُم قاموا بما قاموا عن اجتهاد، والله تعالى أعلم باجتهادهم ومآلهم، غفرَ لهم ذنوبهم، وأمرنا بالاستغفار لهم، ونسأل الله التوفيق.

ثمَّ كلمة أخرى لسيّدنا الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وقد دخل عليه جماعة من أصحابه، وسألوه في هذه الفتن فقال: «تلك دماء طهَّر الله منها أيدينا، فلا نخضِّب بها ألسنتنا»[1].

هذه كلمته، وهي لعمري كلمة حقٍّ وعدل. دمٌ لم تتلوَّث ولم تتلطَّخ به أيدينا، طهَّرها الله منه، فلِم نخضِّب به ألسنتنا؟!

تعبير حاوٍ جميل، ويقال خضَّب يده بالحنّاء أو يد مخضَّبة بالدم إذا تلطَّخت.

---

1) - جامع القرطبي: ج16/ص322.

فهذه كلمة جامعة مانعة، جرت على لسان عمر بن عبد العزيز، الذي أجمعت الأمَّة على عدله، بعد الخلفاء الراشدين الأربعة، وهو ابن بنت عمر بن الخطَّاب، عدل كما عدل جدُّه، وهو أفضل ولاَّة بني أمية على الإطلاق[1]. فلنحفظ كلمته، ولنمتثل بها.

وقال العوَّام بن حوشب[2]: «أدركتُ صدر هذه الأمَّة يقولون: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله، حتَّى تتألَّف القلوب عليهم؛ ولا تذكروا ما شجر بينهم فتجسروا الناس عليهم»[3].

اذكروا فضائل أَصحاب الرسول ﷺ - ونحن مأمورون بذكر محاسن الموتى - وأول من ينطبق عليهم هذا الصحابةُ رضوان الله عليهم.

---

[1] - انظر في تعريف الخليفة عمر بن عبد العزيز: الزركلي: **الأعلام**، ج5/ص209.

[2] - هو **العوام بن حوشب بن رؤيم** (ت: 148هـ): يكنى أبا عيسى، كان ثقة، وصاحب أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. ابن سعد: **طبقات**، ج7/ص311.

[3] - جامع القرطبي: ج18/ص33.

اذكـروا محاسـنهم لأبنـائكم، ولطلبتكـم، وأشـيعوا فضـائلهم بينكـم حـتّى تتـألّف القلـوب، ولا تذكـروا مـا شـجر بينهـم، لأنكـم حينئـذ تجسـرون النـاس عليهـم*.

ويقـول الشـيخ اطفـيّش رحمـه الله، في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿**للفقـراء المهـاجرين ... والذيـن جـآؤوا مـن بّعدهـم...**﴾ الآيـة. بعـد أن ذكـر بعـض الأحـاديث الـواردة في فضـل الصحابـة، قـال: «وحـبُّ الصحابـة كـالمطبوع في القلـب»[1] وذلـك لأنَّ الشـيخ رحمـه الله عـالم ومفسِّـر ومحـدِّث، وقـد تـرك تراثـا غريبـا[2] في الوقـت الـذي لا توجـد فيـه الكتـب إلاّ بقلّـة وبأثمـان باهضـة، انغـرس حـبُّ الصحابـة في قلبـه حـتّى عـبَّر بهـذه العبـارة، وكـأنَّ حبَّ الصحابـة شـيء جُبلـت عليـه القلـوب.

ثـمَّ قـال: «وا الله أعلـمُ بمـا يصيبـني إذا تذكّـرت قولـه ﷺ للملائكـة: **أُصيحـابي أُصيحـابي**، وقولهـم: **مـا تـدري مـا أحدثـوا**

---

* لقد تقدم التعليق عليه في هامش ص 14

[1] – القطب اطفيش: **تيسير التفسير**، ج6/ص158.

[2] – انظر في حصر تراثه: مصطفى وينتن: **آراء الشيخ اطفيّش العقدية**، ملحق قائمة مؤلّفات الشيخ، ص390-406.

بعدك؟، وقوله ﷺ: فسحقا سحقا[1]. ثمَّ قال: والله ما ندري من المراد بالحديث». يبدو لي شيء من التأويل في هذا: نحن نعلم أنَّه قد حجَّ مع النبيء ﷺ في حجَّة الوداع[2] مائة ألف،

---

1) – أبو عيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن النبيء ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مومنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددتُ أنّي رأيت إخواني» قالوا: يا رسول الله، ألسنا بإخوانك؟ قال: «بل أنتم أصحابي، وإنَّما إخواني الذين يأتون من بعدي وأنا فرطهم على الحوض» قالوا: يا رسول الله، كيف تعرف من يأتي بعدك؟ قال: «أرأيتم لو كان لرجل خيلٌ غرٌّ محجّلة في خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «فإنهم يأتون يوم القيامة غرٌّ محجّلين من أثر الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، وليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، فأناديهم: ألا هلمَّ، فيقال: إنَّهم قد بدّلوا بعدك، فأقول: فسحقا فسحقا» الجامع الصحيح، باب (6) في الأمَّة أمَّة محمَّد ﷺ، ج1/ص13، رقم 43.

صحيح البخاري، كتاب (84) الرقاق، باب (53) في الحوض، ج5/ص2406، رقم 6212.

بلفظ: «... فأقول: إنَّهم منّي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن غيّر بعدي».

صحيح مسلم، كتاب (2) الطهارة، باب (12) استحباب إطالة الغرّة والتحجيل في الوضوء، ج1/ص218، رقم 39.

موطأ الإمام مالك، كتاب (2) الطهارة، باب (6) جامع الوضوء، ص23، رقم 59.

مسند أحمد بن حنبل، ج2/ص300.

ابن ماجه، كتاب (37) تازهد، باب (36) ذكر الحوض، ج2/ص1439، رقم 4306.

2) – وكانت لخمس ليال بقين من ذي القعدة، سنة 10 للهجرة..

ولم يمضِ على حجّه هذا إلاّ بضعة أشهر، حتّى لحق بربّه، فارتدَّ مِن هؤلاء من ارتدَّ.

وقد حضروا مكّة ووقفوا بعرفات، وشاهدوا النبيء ﷺ، واستمعوا إليه، وربما فيهم من صافحه وكلّمه، فإذا جاؤوا يوم القيامة يزدحمون على الحوض تردُّهم الملائكة، فينادي النبيء ﷺ غيرة على أصحابه كلّهم: «**أصيحابي أصيحابي**». فتجيبه الملائكة: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**». ولنحملهم نحن على الردَّة، إذا أمكن للإنسان أن يقول شيئا، أو على النفاق، وإلاّ فالواجب الوقوف في كلّ شيء.

يقول الشيخ محمَّد يوسف المصعبي، في رسالته " عقيدة الإباضية " في موضوع الصحابة: «ومِمَّا جاء به ﷺ اتّباع كتاب الله وسنَّة رسوله ﴿**وما ءاتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...**﴾ (1) الآية، وكذا ما عليه أصحابه الراشدون المهتدون، وأخصّهم به العشرة الكرام البررة الذين بايعوه تحت الشجرة، وهم: أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان،

---

1) – سورة الحشر: الآية 7.

وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجرَّاح ﷺ أجمعين، وجعلَنا لآثارهم تابعين، وبسنَّتهم مستمسكين، غير مبدّلين ولا مغيّرين، إلى أن نلحق بدار كرامتهم آمين.

ونعتقد أنَّ الكلَّ عدول، ويُهتدى بهم، ونمسك عمَّا شجر بينهم، كما يحكى عن السيد عمر بن عبد العزيز أنَّه قال: «تلك دماء طهَّر ا لله منها أيدينا»، فلا نلوِّث بها ألسنتنا؛ فا لله ربنا ومحمد نبيُّنا، والقرآن إمامنا، والكعبة قبلتنا، والصحابة قدوتنا.

وقد وردت آيات وأحاديث في مدحهم خصوصا وعموما، وليست رسالتنا هذه موضوعة لبسط الكلام، فهذه لمع يسيرة من أصول الدين وفروعه، التي ألفينا عليها سلفَنا الصالح، سالمين من إفراط الأزارقة(*).

---

*) - الأزارقة: هم أصحاب نافع بن الأزرق (ت: 60هـ)، من أشهَرِ فِرقِ الخوارجِ وأشدِّها تطرُّفاً وعُنفاً، وأوَّل من سنَّ تشريكَ أهلِ القبلةِ، وانتحالَ الهجرةِ، وتكفيرِ القعدةِ عن القتالِ، وإسقاطِ الرجمِ عن الزاني والحدِّ عن القاذِفِ؛ وقالوا: إنَّ مرتكبَ الكبيرةِ كافرٌ كفرَ ملَّةٍ، ولم يجوِّزوا التقية، لا في القول ولا في العمل.

*الشهرستاني: ن.م،س، ج1/118-122.

والخـــوارج[1] القـــائلين بتشـــريك أهـــل الكبـــائر، وتحليـــل أموالهـــم...»[2].

ونحـن إذا قلنـا كمـا قـال الشـيخ، وطلبنـا وأمرنـا بالرضـا عمّـن رضـي الله عنهـم مـن الصحابـة، فـالمراد أوّلاً بـالذات السـابقون الأوّلـون مـن المهـاجرين والانصـار الذيـن سمعتـم مـا سمعتـم مـن فضـائلهم، ومنهـم العشـرة المذكـورون في الرسـالة، الذيـن أجمعـت الأمـّة علـى أنّ النبيء ﷺ تـوفي وهـو عنهـم راض.

هـؤلاء الذيـن نرضـى عنهـم، ونقـف فيمـا شـجر بينهـم في فتنـة الـدار والجمـل وصفـين، إلى حـادث النهـروان[3]، ولا ندخـل في الخـلاف الـذي وقـع بينهـم، والـذي اشـتدّ وتنـوّع بصـورة غريبـة،

---

1) – الخوارج: طوائف من الناس، من زمن التابعين، رؤوسهم: نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر، وعبد الله بن الصفار، ومن شايعهم. وسموا خوارج، لأنهم خرجوا عن الحق. وعن الأئمة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك، فاستحلوا ما حرّم الله من الدماء والأموال بالمعصية...).

علي يحي معمر: **الإباضية بين الفرق الإسلامية**، ص 468

2) – هي رسالة أرسلها الشيخ: محمد يوسف المصعبي إلى أحمد باشا، والي طرابلس، وهي مطبوعة قديما بمصر عام 1290 هـ انظر الجعبيري: **البعد الحضاري**، ج1/ص72.

3) – بفتح النون، كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، حدّها الأعلى متّصل ببغداد، وفيها عدّة بلاد متوسّطة، منها سكّان حرحرايا.

الحموي: **معجم البلدان**، ج8/ص347.

وأجج لهيبها روايات موضوعة، لـمَّا افترقت الأمَّة، وكان كلُّ فريق يلعن الآخر.

ونحن في عام 1395هـ، وقد مرَّ على هذه الفتن 1350 سنة، ولا يزال الناس يكتبون ويبحثون، خاصة في العهود الأخيرة، ولا يمرُّ العام إلاَّ بكتاب جديد عن هذه الحوادث والفتن والروايات.

وأنا أعتقد أنَّه لا يوجد اليوم من يجمع الكتب التاريخية قديمها وحديثها، ومما كُتب طيلة 1350 سنة، فيقرأها ويخرج بحقيقة؛ وها نحن بعد هذه المدَّة الطويلة نرى باحثين يكتبون أشياء تنقض ما كان يُظنّ حقيقة، فيثبتون وبحجج غريبة أنَّ عبد الله بن سبأ[1] الذي نُسب إليه الكثير في هذه الفتن بأنَّه شخصية أسطورية غير موجودة تماما، ويذكر البعض مائة وخمسين شخصا عُدُّوا في زمرة الصحابة وهم ليسوا بصحابة، وهذه البحوث تُكتب وتُنشر، ويتَّخذها البعض موضوعات

---

[1] – هو عبد الله بن سبأ (ت: 40هـ): هو رأس الطائفة السبئية التي تقول بألوهية علي كرّم الله وجهه، أصله من اليمن، قيل إنَّه يهودي أظهر الإسلام، وقيل إن عليا أحرقه بالنار.
الزركلي: الأعلام، ج4/ص220.

للرسائل التي يقدّمونها لنيل الدرجات العلمية: الليسانس، والماجستير، والدكتوراه.

والداخل في هذا المضمار كمن يدخل في بحر لا ساحل له، لا يعرف أبدا كيف ينجو، يرد ولكن لا يستطيع أن يصدر:

وأحزم الناس من لو مات من ظمإٍ لا يقرب الورد حتّى يعرف الصدِرا[1]

---

[1] – البيت قاله صفي الدين الحلي، يحرّض السلطان الملك (ت: 740هـ) على الاحتراز من المغول ومنافرتهم.

أحمد الهاشمي: **جواهر الأدب**، ج2/ص337. باب التهاني والتهادي والإغراء. ومطلع القصيدة:

لا يمتط المجد من لم يركب الخطرا ولا ينال العلا من قدّم الحذَراَ

فلا تنزل في بئر أو بحر إلاّ إذا عملتَ كيف تخرج منه، وإنّما ذكرتُ هذا حتّى لا نعتمد إلاّ على كتاب الله في الحكم على الطائفة الأولى: السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار، ومنهم هؤلاء العشرة، وأولهم أبو بكر مات حتف أنفه، وعمر قتل شهيدا على يد الغلام المجوسي، وعثمان قتل على يد الثوار، وعلي قتل على يد عبد الرحمن بن ملجم، وطلحة والزبير قتلا في وادي السباع[1] إثر وقعة الجمل.

وللمناسبة أردُّ على فرية: يقولون فيها إنَّ الإباضيَّة قتلوا الإمام عليًّا.

كلاَّ إنّما الذي قتله رجل يُدعى عبد الرحمن بن ملجم، كما اشتهر في الروايات واتّفقت عليه، وأصل الرواية أنّه لمّا اشتدَّت الفتن والحروب بين أتباع عليّ الأحقّ بالخلافة، والتي أجمع عليها أهل الحجاز: مكّة والمدينة، وإجماعهم معتبر، وبين

---

[1] – وادي السباع: مكان يقع بين البصرة ومكة، وبينه وبين البصرة خمسة أميال، ووداي السباع ناحية من نواحي الكوفة.

الحموي: معجم البلدان، ج8/ص373.

معاوية الرافض للدخول في بيعة الإمام عليٍّ، اجتمع ثلاثة[1] من الشباب مِمَّن يمكن أن يطلق عليهم اسم الفدائيين، فقالوا: «لنقتل الثلاثة عليًّا ومعاوية وعمرو بن العاص، وبعد ذلك يختار المسلمون خليفة جديداً»، ولم يكن هناك اتّفاق لأحد منهم مع جماعة، ولا علم لأحد بهؤلاء، ولم يُعرفوا قبل إلاّ بهذه الحادثة، فقد خطرت لهم هذه الفكرة ونفّذوها في ليلة محدَّدة عند صلاة الفجر من يوم 17 رمضان، فأراد الله تعالى ما أراد، فقُتل عليّ، ولم يُصب معاوية بالضربة القاتلة، إذ كانت الضربة في فخذه، ولم يخرج عمرو للصلاة يومها، وكان المقتول خارجة، الذي قام مقامه في الصلاة، وفي هذا يقول القائل تأسُّفا على قتل الإمام عليّ:

---

[1] – وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي الذي عزم على قتل علي بن أبي طالب، والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي الذي عزم على قتل معاوية، وعمر بن بكر التميمي السعدي الذي عزم على قتل عمرو بن العاص.

ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج2/ص338

المبرد: الكامل، ص27.

ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج1/ص1131

فيا ليتها إذ فدَت عمرا بخارجة فدت عليًّا بمن شاءت من البشر[1]

فمن أين يقال إذن: إنَّ عليًّا قتله بنو فلان أو بنو فلان، وإنَّما كلّ شيء متعلّق بجريرته، ونحن غير مكلّفين بالحكم في هذه القضية، فالقاتل قُتل هو أيضا، وانتهى كلّ شيء، فقولهم: «قتله بنو فلان أو بنو فلان، ما هو إلاَّ أراجيف من أكاذيب الرواة».

وروي أنَّ سيِّدنا عبد الله بن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما سمع رجلاً يتناول أحد المهاجرين فدعاه، وقرأ عليه قوله تعالى: ﴿**للفقرآء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله، وأولئك هم الصادقون**﴾[2]، فقال له: «هذه الآية في المهاجرين، أمنهم أنت؟» قال: «لا».

ثمَّ قرأ عليه قوله تعالى: ﴿**والذين تبوَّأوا الدار والايمان من قبلهم يحبُّون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مِمَّا أوتوا ويوثرون على أنفسهم ولو كانَ بهم**

---

[1] – لم أهتد إلى قائل هذا البيت فيما رجعت إليه من المصادر مثل: **شعر الخوارج** لإحسان عبَّاس، **وقول على قول** ..

[2] – سورة الحشر: الآية 8.

خصاصة﴾[1]،فقال له: «هذه الآية في الأنصار، أمنهم أنت؟» قال: «لا».

ثمَّ قرأ عليه قوله تعالى: ﴿**والذين جآؤوا من بَّعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾[2] فقال له: «أمنهم أنت؟»، قال: «أرجو»، قال عبد الله بن عمر: «لا والله ليس مِن هؤلاء مَن سبَّ هؤلاء»[3].

هذه هي الكلمة الذهبية الحلوة التي نطق بها سيِّدنا عبد الله بن عمر، ليس من التابعين الذين جاؤوا من بعد مَن سبَّ المهاجرين والأنصار، وهو صريح القرآن، لأنَّ أصحاب الطبقة الثالثة موصون بقولهم: ﴿**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان**﴾.

ونحن اليوم أيضًا نسائل أنفسنا:

أنحن من المهاجرين؟ كلاَّ.

أنحن من الأنصار؟ كلاَّ.

---

[1] – سورة الحشر: الآية 9.

[2] – سورة الحشر: الآية 10

[3] – الألوسي: **روح المعاني**، ج28/ص48

القطب اطفيِّش: **تيسير التفسير**، ج6/ص157

أنحن من الذين جاؤوا من بعدهم؟ نرجو ذلك.

ولكن لن نكون منهم إذا سببناهم أو شتمناهم، وقانا الله من أن نقول كلمة سوء في الصحابة ﷺ، ونسأله أن يعمّر قلوبنا بمحبَّتهم، وقد عوّدنا أسلافنا - رحمهم الله - السلامَ عليهم، كلّما كتب أحدنا كتابا أو قال خطاباً، أن يبدأه بـ: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيِّدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما». نحن نصلّي عليهم ونسلّم في كلّ وقت، تبعا للنبيء ﷺ.

وللمناسبة أذكر فائدة نصّ عليها العلماء، قالوا: أما الصلاة على الصحابة، فلا تكون إلاّ تبعاً للنبيء ﷺ، إذ لا يجوز أن نقول: صلّى الله على أبي بكر، أو على عمر، أو على فلان أو فلان، وإنّما تقول: صلّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى صحبه، وهذا هو مذهب الجمهور، وهو قولنا.

أمّا التسليم فيجوز استقلالا[1] فنقول: السلام عليكم، سلام على عباد الله الصالحين، سلام على فلان أو فلان.

---

[1] - كما في التشهّد: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

وبعد هذا لنخرج من هذا المقام الصعب الخوض فيه بنتيجة وهي:

١. الرضا عمَّن رضي الله عنهم، وعمَّن رضي عنهم رسوله ﷺ، وبشَّرهم بالجنَّة.

٢. الوقوف فيما شجر بينهم.

٣. عدم الخوض فيه.

٤. عدم الحكم عليهم بشيء أبدا، إذ لسنا مكلَّفين بهذا ولا ملزمين.

٥. لن يسألنا الله تعالى عنهم، بل يسألنا إذا لم نستغفر لهم.

٦. نلتزم طريقهم حتَّى نلحق بهم.

نلتزم قوله تعالى: ﴿**والذين جآؤوا من بَّعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غِلاًّ للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾. حتَّى ندخل في جملة هذه الطوائف المتتابعة والقوافل المتلاحقة وراء هذا الرعيل الأوَّل، حتَّى ندخل الجنَّة معهم ـ إن شاء الله ـ

وأختم بكلمة قالها أحد الأشياخ في السير، في اجتماع له ببعض فقال أحدهم: «سبق الأوَّلون على خيل عتاق[1]، وبقينا على حُمر دبرة[2]» فأجاب الشيخ بقوله: «أخاف أن لا نكون على الطريق، أمَّا إذا كنَّا على الطريق فإنا سنلحق»[3].

نحن كذلك نخاف أن لا نكون على الطريق، وأمَّا إذا كنا على الطريق ووراء النبيء ﷺ، وراء هذه الجماعات التي أمامنا من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، فسنصل على حُمُرنا الدبرة، ولن نبلغ درجتهم ولكن نصل وراءهم إلى الجنَّة إن شاء الله.

---

[1] – العتق خلاف الرق وهو الحرية، وعتقت الفرس عتقا سبقت الخيل، وفرس عاتق سابق.
ابن منظور: **لسان العرب**، ج10/ص235.

[2] – دبرة: الدبر نقيض القبول، ودبره يدبره دبورا تبعه من ورائه، ودابر الشيء آخره. ابن منظور: ن، م، س، ج16/ص268.

[3] – بعد بحث في طبقات الدرجيني لم أهتد إلى هذا القول، ولا إلى قائله، وسألت عنه بعض الأساتذة منهم: الشيخ ناصر المرموري، والأستاذ مصطفى شريفي... اتفق الجميع على أنَّهم سمعوا هذا القول ونسوا قائله، وهذا مِمَّا يدعو إلى ضرورة إعداد فهارس دقيقة لكتب السير حتَّى لا تضيع مثل هذه المعلومات الهامة.

وا لله تعالى نسأل أن يبارك، ويقبل القليل من أعمالنا، وهو كما وُصف: يقبل اليسير، ويعفو عن الكثير.

أظنُّ أنّي قد بلغتُ بعض ما أريد أن أبلغه في نفوسكم، في قضية الصحابة، فتمسَّكوا به، واسألوا ا لله المغفرةَ لأنفسكم ولهم.

والحمد لله ربِّ العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث النبويّة والآثار
فهرس الأعلام
فهرس المصطلحات
فهرس الأحداث والأماكن
فهرس القبائل والفرق
فهرس المصادر والمراجع
المحتويات

ملاحظة: *في فهرس الآيات والأحاديث، لم نعتبر إلاّ ما ورد في المتن دون الهامش.

*في الفهارس الأخرى، اعتبرنا المتن والهامش معا.

*لم نعتبرماورد كمصدر في فهرسة الأعلام، مثلا:البخاري:

صحيح... فالبخاري هنا لم نفهرسه ضمن الأعلام.

فهرس الآيات القرآنية

1. ﴿أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾..... 7
2. ﴿أكله الذيب﴾..... 78
3. ﴿ألزمهم كلمة التقوى﴾ 31
4. ﴿أولئك هم المومنون حقًّا﴾.....14، 24
5. ﴿أولئكَ همُ المومنونَ﴾ 15
6. ﴿إذ جعلَ الذينَ كفروا في قلوبهم الحمية، حمية الجاهلية، فأنزلَ الله سكينته على رسوله،وعلى المومنين وألزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحقَّ بها وأهلَها: وكان الله بكلِّ شيءٍ عليماً﴾ 29
7. ﴿إن يسرِق فقد سرَق أخٌ له من قبلُ﴾..... 79
8. ﴿إنَّ الحسنات يُذهبن السيِّئات﴾ 61
9. ﴿إنَّ الذين اتَّقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطانِ تذكَّروا فإذا هم مُبصرونَ﴾..16
10. ﴿إنَّ الذينَ ءامَنواْ وهاجَروا وجاهَدوا بأموالِهم وأنفسِهم في سبيلِ اللهِ، والذينَ اَوَواْ ونـصَرواْ أولئكَ بعضهمُ, أولياءُ بعضٍ﴾..... 12
11. ﴿إنَّ الله اشترى من المومنين أنفسَهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة﴾.....65
12. ﴿إنَّ الله مع الذين اتَّقوا والذين هم محسنون﴾..... 32
13. ﴿الذين سبقونا بالإيمان﴾.....45
14. ﴿إنّ ربك لشديد العقاب وإنه لغفور رحيم﴾.....7
15. ﴿بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ إنّا فتحنا لكَ فتحاً مبيناً ليغفر لك الله من ذنبك وما تأخَّر﴾.....61
16. ﴿تالله تفتأ تذكرُ يوسفَ حتّى تكون حرضاً أو تكونَ من الهالكينَ﴾.....79
17. ﴿تلك أمَّة قد خلت...﴾.....77

18. ﴿تلكَ أمَّة قد خلَت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عمَّا كانوا يعملون﴾ ..... 74، 77

19. ﴿ثمَّ إنَّ ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا ثمَّ جاهدوا وصبروا إنَّ ربك من بعدها لغفور رَّحيم﴾..... 32 57

20. ﴿ثمَّ إنَّ ربَّك للذين﴾..... 32

21. ﴿ثمَّ تاب عليهم لِيتُوبوا﴾..... 17

22. ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان﴾..... 94

23. ﴿ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين ءامنُوا﴾..... 76

24. ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾..... 24

25. ﴿ضربَ الله مثلاً كلمة طيِّبة كشجرةٍ طيِّبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، توتي أُكلَها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها﴾..... 30

26. ﴿فأولئكَ منكم﴾..... 18

27. ﴿فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي، وقاتلوا وقُتلوا لأكفرنَّ عنهم سيِّئاتهم﴾..... 36 57

28. ﴿فلمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زوَّجْنَاكَهَا﴾..... 8

29. ﴿قل لِّلذين كفروا إن ينتهوا يُغفَر لهم ما قد سلفَ﴾..... 57

30. ﴿لا يستوِي منكم منَ أنفقَ من قبلِ الفتحِ وقاتَل أولئكَ أعظمُ درجةً منَ الذينَ أنفقوا مِن بعدُ وقاتلوا وكُلاًّ وعد الله الحسنى﴾..... 20, 22

31. ﴿لقد تَّاب الله على النبيء والمهاجرينَ والأنصار الذين اتَّبعوه في ساعة العُسرة، من بعد ما كاد تزيغ قلوبُ فريقٍ مِّنهم، ثمَّ تاب عليهم، إنَّه بهم رؤوف رحيم﴾..... 25

32. ﴿لقد رضيَ الله عن المومنينَ إذ يبايعونكَ تحتَ الشجرةِ فعلِم ما في قلوبهم، فأنزلَ السكينة عليهم، وأثابهم فتحا قريباً، ومغانِم كثيرة ياخذُونها، وكان الله عزيزاً حكيماً﴾.....27 28
33. ﴿للفقرآء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله، وأولئك هم الصادقون﴾ 93
34. ﴿للفقراء المهاجرين ... والذين جآؤوا من بَعدهم...﴾ 84
35. ﴿للفقراء للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ 38
36. ﴿للفقراء المهاجرين...والذين جآؤوا من بعدهم...﴾ 50 84
37. ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ 24
38. ﴿لهم مغفرة﴾ 17
39. ﴿من بعدها لغفور رحيم﴾ 34
40. ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ 31
41. ﴿وأهلَها﴾ 31
42. ﴿واعلَموا أنّما غنِمتم من شيء، فأنَّ لله خُمُسه وللرسول﴾. 25
43. ﴿والذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، والذين ءاوَوْا ونصروا أولئك هم المومنون حقًّا﴾.....38
44. ﴿والذين تبوَّأوا الدار والايمان من قبلهم يحُبُّون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مِمَّا أوتوا ويوثرون على أنفسهم ولو كانَ بهم خصاصة﴾ 93
45. ﴿والذين جآؤوا من بعدهم يقولون ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾.....45
46. ﴿والذين جآؤوا من بعدهم﴾ 24
47. ﴿والذين جآؤوا من بَعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ 94 96

48. ﴿والذينَ ءامَنوا من بَعد وهاجَروا وجاهَدوا معكم فأولئكَ منكم﴾ 18 21

49. ﴿والذينَ ءامَنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، والذينَ ءاوَوا ونصروا، أولئك هم المومنونَ حقًّا، لهم مغفرة ورزق كريم، والذينَ ءامَنوا من بَعد وهاجَروا وجاهَدوا معكم فأولئكَ منكم﴾. 19

50. ﴿والذينَ ءامَنوا وهاجَروا وجاهدوا في سبيلِ اللهِ، والذينَ ءاوَوا ونصروا أولئكَ همُ المومِنونَ حقًّا، لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ﴾..... 14

51. ﴿والذينَ اتَّبعوهم بإحسانٍ﴾ 24

52. ﴿والذينَ جآؤوا من بعدِهم يقولون...﴾..... 23

53. ﴿والسابقون الاوَّلون من المهاجرين والانصار﴾ 18 38

54. ﴿والسابقونَ الاوَّلونَ منَ المهاجرينَ والانصارِ والذينَ اتَّبعوهم بإحسانٍ رضيَ اللهُ عنهم ورضُوا عنهُ وأعدَّ لهم جنّاتٍ تجري تحتهاَ الانهارُ خالدينَ فيها أبداً ذلك الفوزُ العظيمُ﴾ 20

55. ﴿وعلى الثلاثة الذينَ خُلِّفوا...﴾..... 25

56. ﴿وكانوا أحقَّ بها وأهلَها﴾ 31

57. ﴿وما ءاتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...﴾ 86

58. ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾..... ،

﴿يقولون ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾. 24

فهرس الأحاديث النبويّة والآثار

1. «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» 4
2. «أصيحابي أصيحابي» 84 86
3. «ألم أقل لكم إنّي رسول الله» 67
4. «أمر الله تعالى بالاستغفار لأصحاب محمّد ﷺ وهو يعلم أنّهم سيُفتتنون» 44
5. «أنّ فتنا كقطع الليل المظلم ستكون بين هذه الأمّة» 45
6. «أمروا بالاستغفار لأصحاب محمّد فسبُّوهم» 50
7. «إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» 86
8. «إنّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنّة، حتّى لا يكون بينها وبينه إلاّ ذراع فيسبق عليه القلم، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها؛ وإنّ الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتّى لا يكون بينه وبينها إلاّ ذراع، فيسبق عليه القلم، فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخلها» 64
9. «الفتنة نار لعن الله من أوقدها، والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» 43
10. «الله الله في أصحابي لا تتّخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبّهم فبحبّي أحبّهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله سبحانه، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» 48
11. «الله الله في أصحابي، لا تتّخذوهم غرضا بعدي» 77
12. «اللهمّ إنّ ذنوبنا قد عظُمت وجلّت وعفوُك أعظم منها وأجلُّ» 22
13. «دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه» 47

14. «ذروا لي أصحابي، لا تتّخذوهم غرضاً بعدي» 77
15. «صوم عرفة يكفّر سنة ماضية وسنة آتية» 60
16. «فسحقا سحقا» 85
17. «فمن أحبّهم فبحبّي أحبّهم»: 49
18. «كقطع الليل المظلم» 76
19. «لا تتّخذوهم غرضاً بعدي» 49
20. «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» 58
21. «ما تدري ما أحدثوا بعدك» 84 85
22. «ما حملك على هذا يا حاطب؟» 54
23. «ما دعوتُ أحداً إلاّ كانت له كبوةٌ، لكنّ أبا بكر أسلم لأوّل وهلة» 7
24. «ما يدريك يا عمر لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم» 55, 61, 69
25. «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» 67
26. «من قال لا إلاّ الله دخل الجنّة وإن زنى وإن سرق» 57
27. «هذه عن عثمان» 29
28. «ومن آذاهم فقد آذاني...» 50
29. «ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم» 50
30. «يكفّر سنة قبله وسنة بعده» 60

فهرس الأعلام

1. آل ياسر ..... 9 32.
2. ابراهيم بن بهون ..... 72.
3. البرك بن عبد الله التميمي ..... 92.
4. أبو أمامة ..... 10.
5. أبو بكر ..... 6، 7، 8، 35، 37، 40، 41، 50، 69، 71، 86، 91، 95.
6. أبو جهل ..... 9.
7. أبو الدرداء ..... 58.
8. أبو ذر الغفاري ..... 57 58.
9. أبو سعيد الخدري ..... 48.
10. أبو شيبة ..... 28.
11. أبو عبيدة (إباضي) ..... 85.
12. أبو عبيدة الجراح ..... 8، 36، 87.
13. أبو عيسى 34 83
14. أبو الغيداق ..... 66.
15. أبو لؤلؤة المجوسي ..... 41.
16. أبو محمد ..... 36.
17. أبو مرثد الغنوي ..... 53.
18. أبو موسى الأشعري ..... 21.

19.أبو نصر ..... 62.
20.أبو هريرة ..... 85 76 58 45.
21.أحمد باشا ..... 88.
22.أحمد بن حنبل ..... 58 4.
23.أسعد بن زرارة ..... 10.
24.الأعمش ..... 48.
25.إسماعيل بن جعفر ..... 45.
26.ابن الأثير ..... 40.
27.ابن حجر ..... 67 45 40.
28.ابن سعد ..... 28.
29.ابن فورك ..... 78.
30.ابن لهيعة ..... 58.
31.ابن هشام ..... 67.
32.ابن يعقوب ..... 78.
33.أصير ..... 64.
34.اطفيش ..... 84 72 50 47 28.
35.أنس بن مالك ..... 34.
36.البراء بن معرور ..... 12.
37.البزار ..... 58.
38.بكر بن عبد الله ..... 34.
39.بلال ..... 33 32 9.

40.جابر بن زيد ..... 80 85.
41.جابر بن عبد الله ..... 10 28.
42.الحاج ابراهيم بن كاسي ..... 72.
43.الحاج بكير العنق ..... 72.
44.الحاج عمر بن يحي ..... 72.
45.الحارث المحاسبي ..... 81.
46.حاطب بن أبي بلتعة ..... 16 51 52 54 55 61.
47.الحسن البصري ..... 21 80 81 .
48.خارجة ..... 92 93 .
49.خالد بن الوليد ..... 22.
50.خالد محمّد خالد ..... 7.
51.خديجة ..... 6 8.
52.خزيمة بن ثابت ..... 42.
53.الدرجيني ..... 97.
54.ذكوان ..... 48.
55.رافع بن مالك ..... 10.
56.ربيع بن زياد ..... 80.
57.رشيد رضا ..... 68.
58.الزبير بن العوام ..... 35 41 42 53 68 91.
59.زيد بن حارثة ..... 8.
60.زيد بن علي ..... 35.

61.سارة مولاة أبي عمرو ..... 52.
62.سعد بن أبي وقاص ..... 36 41 87.
63.سعيد بن المسيب ..... 4 21 28.
64.سعيد بن زيد 36 87
65.سعيد بن عبيد ..... 34.
66.سلمة بن الأكوع ..... 28.
67.سمية بنت خباط ..... 9 32.
68.الشعبي ..... 21.
69.الشيخ بيوض 14 71 72
70.الشيخ عدون ..... 71 72.
71.صفي الدين الجلي 90
72.الطبراني ..... 58.
73.طبقة بن عامر 10
74.طلحة بن عبيد الله ..... 36 41 42 53 70 87 91.
75.عائشة ..... 19 42 50 70 71 73 75.
76.العباس بن عبد المطلب ..... 12.
77.عبد الرحمن بن عوف ..... 8 37 41 87.
78.عبد الرحمن بن ملجم ..... 42 91 92.
79.عبد الله بن أبي ..... 28.
80.عبد الله بن سبأ ..... 89.
81.عبد الله بن الصُّفار ..... 88.

82.عبد الله بن عباس ..... 5 19 44.
83.عبد الله بن عمر بن الخطاب ..... 76 93 94.
84.عثمان بن عفان ..... 8 17 26 27 28 29 35 36 37 41 42 70 75 86 91.
85.عطاء بن يسار ..... 21.
86.عقبة بن ياسر ..... 10.
87.العلاء ..... 45.
88.علي بن أبي طالب..... 6،7، 8، 26، 35، 41،42،53
..... 54-70، 71،87، 89، 91، 92،93
89.عمار بن ياسر ..... 9 32 42 53.
90.عمر بن الخطاب ..... 29 35 36 37 40 41 50 53 55 71 83 86 91 95.
91.عمر بن بكر التميمي ..... 92.
92.عمر بن عبد العزيز 82 83 87
93.عمرو بن أفيش ..... 65.
94.عمرو بن العاص ..... 53 54 92.
95.عمرو بن ثابت بن وقش ..... 64.
96.العوام بن حوشب ..... 83.
97.عوف بن حارث ..... 10.
98.عيسى بن مريم ..... 11.
99.قائد كاسي ..... 72.
100.قتادة ..... 21.
101.قتيبة ..... 45.

102.القرطبي ..... 77.
103.قزمان الظفري ..... 66.
104.كاسي بن بهون ..... 72.
105.كعب بن مالك ..... 25.
106.كنانة بن بشر ..... 42.
107.مالك بن أنس ..... 47.
108.محمَّد بن أبي بكر ..... 42.
109.محمَّد بن الحاج أحمد ..... 72.
110.محمَّد بن مسلمة ..... 76.
111.محمَّد بن سيرين ..... 21.
112.محمَّد بن كعب ..... 21.
113.محمد بن يوسف المصعبي 86 88
114.مرارة بن الربيع ..... 26.
115.مسلم 58
116.مصطفى وينتن ..... 84.
117.مصطفي شريفي ..... 97.
118.مصعب بن عمير ..... 11 12 21.
119.معاوية بن أبي سفيان ..... 26 42 80 92.
120.المغيرة ..... 41.
121.المقداد ..... 53.
122.المقوقس ..... 17.

123. موسى بن عقبة ..... 28.
124. الناصر المرموري ..... 77.
125. نافع بن الأزرق ..... 87 88.
126. نجدة بن عامر ..... 88.
127. هرقل ..... 86.
128. هلال بن أمية ..... 26.
129. الهيثمي ..... 58.
130. الواقدي ..... 4.
131. ياسر ..... 32.
132. يحيى بن أيوب ..... 45.
133. يعقوب ..... 79.
134. يوسف عليه السلام ..... 78 79.

فهرس المصطلحات

1. الأئمة ..... 47.

2. أحلاس ..... 27.

3. أصحاب الشجرة ..... 28.

4. أقتاب ..... 27.

5. الأمة ..... 35 37 48 49 89.

6. الأنصار 10 11 12 13 18 19 20 21 23 24 25 27 46 50 59 64 76 88 91.

7. الأولوية ..... 20.

8. البدريون 17

9. البراءة ..... 62 63 80.

10. التابعون 94 97

11. التقية 87

12. الجبّ 57

13. الجمهور 5 6 28 95

14. الحواريون 11

15. خبٌّ 76

16. الخلفاء الراشدون 35 40
17. الخيانة 51 55
18. الدكتوراه 90
19. الرعيل 20 45 95
20. الرّق 97
21. روحة 95
22. رماة 16
23. السبق 20
24. الشورى 37 41
25. الظعينة 52
26. ظهرانيهم 54
27. العجم 71
28. العيون 51 55
29. العزابة 72
30. غدوة 65
31. الفدائيون 92
32. الفيء 23 24 46 47
33. القعدة 87
34. القنطرة 69
35. الماجستير 90

36. المهاجرون 13 14 18 19 20 21 23 24 25 27 46 50 51 59 70 76 88 91 93 94
37. الليسانس 90
38. النصارى 26
39. النصرة 22 29 49
40. الهدنة 51
41. الولاء 39
42. الولاية 62 63 67 78 79 80

فهرس الأحداث والأماكن

1. آسيا ..... 37.
2. أحد ..... 13 25 36 48 51 64.
3. الأحزاب ..... 51.
4. الإسكندريَّة 17
5. بـــدر 18 21 23 25 26 36 37 39 51 55 56
6. البصرة 36 42 80 81 91
7. بغداد ..... 81 88.
8. بيعة الرضوان 21 28 38 39
9. تبوك ..... 25 26 27 51 .
10. جرجرايا ..... 88.
11. جزيرة بن عمر 40
12. الحبشة ..... 12.
13. حجة الوداع ..... 39 85.
14. الحُديبيَّة ..... 18 21 22 27 29 38 51 68.
15. الحرب العالمية الأولى 71
16. الحرمين 53
17. حروب الردَّة ..... 69.
18. حمراء الأسد 53

19.خراسان 80
20.الخندق ..... 51.
21.خيبر ..... 51.
22.دار القراءة 72
23.دمشق ..... 37.
24.الرحبة 42
25.روضة خاخ ..... 53.
26.سنة الوفود ..... 39.
27.سورية 26
28.الشام ..... 26 36.
29.طرابلس ..... 88.
30.العتيـــق ..... 36.
31.العقيق 37
32.عرفات ..... 85.
33.عرفة 60
34.عسقلان ..... 40.
35.العقبة الأولى ..... 10 21.
36.العقبة الثانية 11 12 21
37.العقبة الثالثة ..... 10.
38.عقبة النساء ..... 10.
39.عمرة القضاء ..... 22.
40.غرداية ..... 72.

1. غوربستان ..... 37.
2. الفتح ..... 19 21 22 23 38 39 51.
3. فتنة الدار ..... 42 70 75 88.
4. الفراث ..... 37.
5. فلسطين ..... 26 40.
6. القادسية ..... 36.
7. القرارة ..... 71 72.
8. الكوفة ..... 36 42 91.
9. مؤتة ..... 8.
10. المدينة ..... 10 11 12 13 17 33 36 37 53 55 80 91.
11. مصر ..... 26 40 79 88.
12. معهد الحاج عمر بن يحيى ..... 72.
13. مكّة ..... 8 9 10 11 12 13 21 22 42 33 38 52 54 55 91.
14. الموصل ..... 40.
15. النهروان ..... 88.
16. النهرين ..... 26.
17. الهجرة ..... 18 19 21 22 24 33 45 49 68 87.
18. وادي السباع ..... 36 91.
19. واسط ..... 88.
20. اليمن ..... 89.
21. يوم الجمل ..... 36 42 70 88 91.
22. يوم صفين ..... 42 70 88.

فهرس القبائل والفرق

1. الأزارقة ..... 87.
2. الأوس ..... 11.
3. الإبـَاضِـية ..... 62 91.
4. بنو أمية ..... 83.
5. بنو ظفر ..... 66.
6. بنو عبد الأشهل ..... 64.
7. بنو عدي ..... 10.
8. بنو عمرو بن عوف ..... 26.
9. الثوار ..... 91.
10. الخزرج ..... 10 11.
11. الخوارج ..... 87 88.
12. الرافضة ..... 35 70.
13. الروم ..... 26.
14. الزيدية ..... 35.
15. السبئية ..... 89.
16. الشيعة ..... 35.
17. الفرس ..... 26.
18. قريش ..... 9 29 51 52 54 55.
19. المغول ..... 90.

فهرس المصادر والمراجع

1. **آراء الشيخ اطفيَّش العقدية:** مصطفى بن ناصر -وينتن؛ رسالة ماجستير؛ (مصفف).
2. **أحكام القرآن:** أبو بكر محمَّد ابن العربي؛ تحقيق علي محمَّد البجاوي؛ دار المعرفة-دار الجيل، لبنان.
3. **أخبار الخوارج من كتاب الكامل في اللغة:** أبو العبَّاس المبرّد؛ دار الفكر الحديث، لبنان؛
4. **أسد الغابة في معرفة الصحابة:** عزّ الدين الجزري المعروف بابن الأثير.
5. **أعلام الإصلاح في الجزائر (من عام 1340هـ/1921م إلى عام 1395هـ/1975م):** محمَّد علي دبوز؛ مطبعة البعث، قسنطينة؛ ط1: 1974-1982م.
6. **الأعلام:** الزركلي خير الدين؛ ط3؛ د.ت.
7. **الإباضية بين الفرق الإسلامية، عند كتاب المقالات في القديم والحديث:** علي يحي معمر؛ نشر مكتبة وهبة القاهرة.
8. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب:** أبو عمرو يوسف ابن عبد البرّ تحقيق علي محمَّد البجاوي؛ مكتبة نهضة مصر.

9. **تاريخ الأمم والملوك:** أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري؛ مطبعة الاستقامة، القاهرة؛ 1357هـ/1939م.

10. **تفسير المنار:** محمَّد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر؛ ط1: 1346هـ.

11. **تيسير التفسير للقرآن الكريم:** محمَّد بن يوسف اطفيَّش؛ وزارة التراث القومي، سلطنة عمان؛ 1409هـ/1988م.

12. **جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري):** أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري؛ دار الفكر، بيروت؛ 1398هـ/1978م.

13. **الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب:** أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي؛ المطبعة العربية، غرداية؛ 1985م.

14. **الجامع لأحكام القرآن:** أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي؛ دار الكتاب العربي، القاهرة؛ 1967م.

15. **جواهر الأدب:** أحمد الهاشمي؛ مطبعة السعادة، مصر؛ ط26: 1385هـ/1965م.

16. **حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي:** محمَّد ناصر؛ جمعية التراث، القرارة، الجزائر؛ 1410هـ/1989م.

17. **حياة الشيخين (الابريكي ونور القلب):** محمَّد ناصر بوحجام؛مصور.

18. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** أبو الفضل شهاب الدي السيد محمود الألوسي البغدادي؛ إدار الطباعة المنيرية،مصر؛ د.ت

19. **سنن أبي داود:** أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي؛ضبط وتعليق محمَّد محيي الدين عبد الحميد؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

20. **سنن ابن ماجة:** ابن ماجة؛ تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي؛ دار الفكر؛د.ت

21. **سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي:** النسائي، السيوطي، السندي؛ دار إحياء التراث العربي، وت لبنان؛ د.ت

22. **السيرة النبويَّة:** أبو الفداء إسماعيل ابن كثير؛ تحقيق مصطفى عبد الواحد؛ دار المعرفة، بيروت، لبنان؛ 1403هـ/1983م.

23. **السيرة النبويَّة:** ابن هشام؛ شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر؛ ط2: 1375هـ/1955م.

24. **شامل الأصل والفرع:** محمد بن يوسف اطفيش، المطبعة السلفية بمصر.

25. **شرح طلعة الشمس على الألفية:** أبو محمَّد عبد الله بن حميد السالمي وزارة التراث القومي، سلطنة عمان؛ ج1 ط: 1401هـ/1981م - ج2 ط2: 1405هـ/1985م.

26. **شرح عقيدة التوحيد:** محمَّد بن يوسف اطفيَّش؛ ط. حجرية.

27. **شرح نهج البلاغة:** ابن أبي الحديد؛ دار مكتبة الحياة، بيروت 1963م.

28. **صحيح البخاري:** أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل البخاري الجعفي ضبط وتخريج الدكتور مصطفى ديب البغا؛ نشر: موفم للنشر-دار الهدى، الجزائر-عين مليلة؛ 1992م.

29. **صحيح الترمذي (سنن الترمذي) بشرح الإمام ابن العربي المالكي:** الترمذي، وابن العربي؛ المطبعة المصرية بالأزهر، مصر؛ ط1: 1350هـ/1931م.

30. **صحيح مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي؛ دار إحياء التراث العربي، لبنان؛ 1954م.

31. **طبقات المشايخ بالمغرب:** أبو العبَّاس أحمد بن سعيد الدرجيني؛ تحقيق إبراهيم طلاي؛ مطبعة البعث، قسنطينة.

32. **علم الحديث ومصطلحه:** صبحي صالح؛دارالعلم للملايين بيروت ط10.

33. **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني الشافعي؛ المطبعية البهية، مصر؛ 1348هـ.

34. **قاموس المحيط:** مجد الدين محمَّد بن يعقوب الفيروزاباذي الشيرازي المطبعة الحسينية المصرية؛ ط2: 1344هـ.

35. **قواعد الإسلام:** إسماعيل بن موسى الجيطالي أبو طاهر؛ تحقيق بكلي عبد الرحمن؛ المطبعة العربية، غرداية؛ ط1: 1977م.

36. **كتاب العبر (تاريخ ابن خلدون):** ابن خلدون؛ دار الكتاب اللبناني لبنان؛ 1956م.

37. **لسان العرب:** أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم ابن منظور؛ دار صادر-دار بيروت، بيروت؛ 1374هـ/1975م.

38. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر؛ دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ط3: 1402هـ/1982م.

39. **المسند بهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال:** أحمد بن حنبل، المتقي الهندي؛ المكتب الإسلامي، بيروت؛ ط4: 1403هـ/1983م.

40. **معجم أعلام الإباضية:** جمعية التراث، النسخة التجريبية (مصورة).

41. **معجم البلدان:** ياقوت الحموي؛ دار صادر - دار بيروت، بيروت 1358هـ/1939م.

42. **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي:** وضعه لفيف من المستشرقين نشر الدكتور أ.ي وينسنك؛ مكتبة بريل، ليدن؛ 1936م.

43. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:** محمَّد فؤاد عبد الباقي؛ دار الفكر ط1: 1406هـ/1986م.

44. **معجم لغة الفقهاء (عربي- إنجليزية):** محمَّد رواس قلعه جي وحامد صادق قنيبي؛ دار النفائس، بيروت؛ ط2: 1408هـ/1988م.

45. **الملل والنحل:** أبو الفتح الشهرستاني؛ دار المعرفة، بيروت.

46. **موسوعة الحديث النبوي:** العالمية؛ 48000 حديث؛ برنامج كمبيوتر.

47. الموسوعة العربيَّة الميسّرة: إشراف محمَّد شفيق غربال؛ دار الشعب.

48. **الموطّأ:** للإمام مالك بن أنس؛ تعليق سعيد اللحام؛ دار الفكر، بيروت ط1: 1409هـ/1989م.

49. **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة:** محمَّد علي دبوز؛ المطبعة التعاونية، ج1 ط1: 1385هـ/1965م؛ المطبعة العربية، الجزائر؛ ج2-3 ط1: 1389هـ/1969م - 1391هـ/1971م.

50. **نور اليقين في سيرة سيِّد المرسلين:** محمَّد الخضري بك؛ المكتبة التجارية، مصر.

51. **وجاء أبو بكر:** خالد محمَّد خالد؛ دار الكتب الحديثة؛ ط1: 1382هـ.

المحتويات

تقديم للدكتور مصطفى بن صالح باجو I

المقدمة i

[تعريف بالإمام الشيخ بيوض] ..... أ

[تمهيد في موقف الشيخ من الصحابة] 2

[الصّحابة : لغة و شرعًا] 3

[السّابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار] 6

[إرسال مصعب بن عمير إلى يثرب] 12

[الآيات النازلة في حق المهاجرين و الأنصار] 13

[ذنوب المهاجرين و الأنصار لا تقع إلاّ مغفورة] 15

[فضل السابقين الأولين على غيرهم] 18

[الذين جاؤوا من بعدهم ... و التابعون] 23

[حكم ا لله تعالى على الصحابة بالمغفرة و الرضوان] 24

[المشقة التي تحملها جيش العسرة] 26

[رضا ا لله عن المبايعين تحت الشجرة] 27

[إلزامهم كلمة التقوى] 29

[الذين هاجروا و جاهدوا من بعد ما فتنوا] 32

[فضل العشرة المبشرين بالجنة] 35

[عدد الصحابة و أسماؤهم و الكتب المؤلفة فيهم] 38

[بداية الفتن في الأمة الإسلامية] 41

[موقف المسلمين من الفتن] 43

[جزاء من سبَّ الصحابة مبغضًا لهم] 46
[الأحاديث الواردة في فضل الصحابة و النهي عن سبهم] 47
[قصة حاطب بن أبي بلتعة] 51
[مغفرة الله واسعة] 56
[ولاية الله و براءته لا يتبدلان] 38
[العبرة بالخاتمة] 64
[إستحقاق الصحابة للجزاء الرباني] 68
الفهارس 99
المحتويات 127